# أثر السياق في النظم القرآني
# (مادة سبق أنموذجاً)

إعداد
د. علي بن سليمان الزبن
كلية اللغـة العـربية
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

# ملخص البحث

يبرز هذا البحث مفردة (سبق) وما تحمله من دلالات في سياقها.

وقد سرت في هذا البحث على التأمل في هذه المادة من خلال مقامات ورودها التي تنوعت بعيد الاسم والفعل.

وقد جاء البحث بمقدمة، بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، والمنهج المتبع، والمصادر التي أفدت منها.

أما التمهيد فقد تعرضت فيه لمادة سبق وجذرها اللغوي، وبينت مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح مبرزاً جهود العلماء في هذا المجال.

أما المباحث فكانت أربعة:

المبحث الأول والثاني خصصتهما للحديث عن أثر السياق في اختيار الصيغة التي تنوعت بين الاسم والفعل، مقدماً نماذج تطبيقية مبرزاً سر اختيار الصيغة.

وفي المبحث الثالث أوضحت أثر السياق بين متشابه النظم في مادة (سبق).

أما المبحث الربع فقد بينت أثر السياق في اصطفاء لفظ (سبق) مع ما قاربه من ألفاظ مثل (سارع) (نافس).

وفي الخاتمة قدمت ملخصاً للبحث مبرزاً بعض النتائج.

والله ولي التوفيق،،،

# مقدمـــــة

إن هذا القرآن أُنزل للعظة والاعتبار ولا يكون ذلك إلّا بتدبره من خلال التأمل في بديع نظمه العجيب ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] فهو كتاب هداية وتشريع وإصلاح للنفوس جامع لمصالح الدنيا والآخرة، ولا يجود بأسراره إلا لمن تأمله واعتبر بما فيه (ليدبروا آياته) ولا عجب فهو كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، ولذلك انصرفت جهودهم لمعرفة ما يحتويه لهذا الكتاب من أحكام وأسرار كل في مجاله.

ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم القدح المعلى في ذلك علماء اللغة والبيان لمعرفة أسرار هذا التنوع في أساليبه.

وكتاب الله يختار اللفظة الملائمة للسياق المناسبة للمقال والحال، وتكون دقيقة في وضعها، وفي معناها، وفي تناسقها مع أخواتها في الجملة.

ولقد لفت نظري مادة (سبق) في القرآن وتنوع مشتقاتها فعزمت على القيام بدراسته؛ لأقف على أسرارها البلاغية فأحصيتها فوجدتها تصل إلى خمسة وثلاثين موضعاً وردت فيه هذه المادة، فوجدتها ثرية بمدلولاتها، وقد تنوعت مشتقات هذه المادة بين الفعل بصيغه المتنوعة والاسم بأنواعه المتعددة. مما يدعو للتأمل في كشف التناسب بين اللفظة وسياقها الذي وردت فيه والسر في اختيار اللفظ من اسم أو فعل.

وبعد البحث والتحري لم أجد دراسة فيما أعلم تطرقت لهذه المادة وبيّنت أثرها في السياق.

لهذا وغيره عزمت على القيام بدراستها لأقف على أسرارها البلاغية وسر هذا التنوع في مشتقاتها والغرض الذي سيق من أجله وهذا ما كان بحمد الله، وأسميته (أثر السياق في النظم القرآني "مادة سبق أنموذجاً").

وقد جاءت الدراسة بمقدمة وتمهيد وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار والمنهج المتبع.

وفي التمهيد بينت مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح وآراء العلماء فيه، وتتبعت الجذور اللغوية لمادة (سبق) واستعمالاتها.

أما المباحث فجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول أثر السياق في اختيار صيغة الفعل.

المبحث الثاني: أثر السياق في اختيار صيغة الاسم.

المبحث الثالث: فخصصته لمتشابه النظم بينت فيه معنى المتشابه اللفظي وسر التكرار في الألفاظ بين موضع وآخر مقدما بعض النماذج التطبيقية.

المبحث الرابع: تناولت فيه مادة سبق وما قاربه من ألفاظ وبينت الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ مقدما بعض النماذج التطبيقية.

أما الخاتمة فقد أجملت فيها ملخصاً للبحث، وبعض النتائج التي توصلت إليها والمقترحات، وأتبعت ذلك بالفهارس.

وقد اعتمدت في بحثي على المصادر المتنوعة من كتب التفسير المتنوعة وخاصة ما يهتم بالجانب البلاغي ، كالكشاف، وإرشاد العقل السليم، وروح المعاني، والتحرير والتنوير. وغيرها من الكتب المتنوعة التي تهتم بالجوانب البيانية والبلاغية.

وقد اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي الإحصائي، الذي يكشف عن علاقة اللفظة بسياقها.

وبعد:

فقد بذلت جهدا في بحثي هذا فإن وفقت فهذا ما سعيت لتحقيقه، وإن كان غير ذلك فاستغفر الله عما زل به القلم من اجتهاد أو تحميل الآية مالا تحتمل، ويبقى النقص ملازما للبشر ورحم الله الأصفهانى الذي قال إنه (لا يكتب أحد كتاباً فى يومهِ إلا قال فى غَدِهِ: لوُ غُيِّرَ هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يُستحَسن ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر). ويبقى هذا الكتاب أساس رسالة التوحيد، والنور المبين، ومصدر الحكمة والهداية، والأسرار التي لا تنقضي وكل يأخذ منه بقدر ما يوفقه الله إليه.

**والحمد لله رب العالمين.**

# التمهيد

**مفهوم السياق:**

السياق أصل هام من أصول التفسير التي لابد للمفسر من مراعاته؛ لما له من أثر في فهم مراد الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح للآية من خلال العوامل المحيطة بها، وتعود أهمية السياق؛ لكونه يحدد معنى الكلمة في الآية من خلال سياقها.

وهذا يدعونا للتعرف على معنى هذه اللفظة (السياق)؛ لأن تحقيق الألفاظ معين لمن يريد إدراك معاني القرآن يقول الراغب: (وذكرت أنَّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة. فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أوائل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه. وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافعٌ في كل علم من علوم الشرع. فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم)[1].

وهذا يقودنا للتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة.

**المعنى اللغوي:**

جاء في لسان العرب: السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق شدد للمبالغة وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة[2].

وجاء في معجم مقاييس اللغة (سوق) (السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. يقال ساقه يسوقه سَوقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن ٨.

(٢) انظر لسان العرب ١٠/١٦٦.

أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك لأنَّ الماشي ينْساق عليها. ويقال امرأة سَوْقاء، ورجلٌ أَسوَق، إذا كان عظيمَ السّاق. والمصدر السَّوَق)[1].

وفي أساس البلاغة ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً. وساق إليها المهر. وساقت الريح السحاب.

وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، "وإليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده[2].

وفي المعجم الوسيط: «ساق الحديث، سرده وسلسله، وساوقه: تابعه وسايره وجاراه.

وتساوقت الماشية ونحوها: تتابعت وتزاحمت في السير. وتساوق الشيئان: تسايرا أو تقارنا. ويقال بني القوم بيوتهم على ساق واحدة على صف واحد، وسياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه»[3].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المعنى المأخوذ من المعاني المتقدمة لكلمة السياق يدور حول عددٍ من المعاني منها: التتابع واللحوق، والانقياد، والتسلسل.

ودلالة السياق هي واحدة من أهم الدلالات في فهم النص القرآني.

وهنا سؤال هل هناك تعريف محدد للسياق اصطلح عليه المختصون ؟.

والحقيقة أن بعض المصطلحات يكون من الصعوبة بمكان التحديد الدقيق لمعناها ومن ذلك السياق ومع هذا حاول بعض المعاصرين أن يحدد مفهومه.

وأعرض هنا تعريفين ذكرهما بعض الباحثين:

قال صاحب كتاب دلالة السياق: ((وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث الآتية: الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١١٧/٣.

(٢) انظر أساس البلاغة٢٣٢/١.

(٣) المعجم الوسيط ٤٦٤/١.

المتكلم في إيراد الكلام... الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام ))[1].

يقول صاحب رسالة السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية: "التعريف المختار للسياق القرآني، هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخِاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه[2].

ولقد اعتنى علماء الإسلام بالسياق ودلالاته على تفاوت فيما بينهم ولسنا في مجال تتبع الأقوال في ذلك فقد اهتم به المفسرون، والأصوليون، والبلاغيون، والمقام لا يتسع لذكر أقوالهم ولكن نذكر شيئا منها.

ففي كتاب الرسالة للإمام الشافعي يقول رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

فابتدأ – جل ثناؤه – ذِكرَ الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: {إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ } الآية، دلت على أنه إنما أراد أهلَ القرية؛ لأن القرية لا تكون عادِيَةً، ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بَلاَهم بما كانوا يفسقون) [3].

فالمفهوم من السياق أن أهل القرية هم الذين يعدون ويفسقون وليست القرية.

---

(١) دلالة السياق ٥١.

(٢) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، ص٢٢.

(٣) الرسالة ص٦٢.

والمفسر ابن جرير الطبري رحمه الله يرى أن صرف الكلام عن سياقه غير جائز يقول «غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد)[1] ومعنى هذا أنه لابد من النظر عند تفسير الآية بجميع ما يرتبط بها من عوامل، كأسباب النزول، أو الأحاديث الواردة، ومراعاة نظم الكلام الذي سيق له، ولذلك قال الزركشي: (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز)[2].

أما ابن دقيق العيد: فيقول: "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات" [3].

وقال شيخ الإسلام: "ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة"[4].

وقد نبه ابن القيم إلى أن السياق يبين المجمل ويقيد المطلق فقال: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[الدخان: ٤٩]" [5].

---

(١) الطبري ٣٨٩/٩.

(٢) البرهان ٣١٧/١.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ص٢٧٧ – ٢٧٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٨/٦.

(٥) بدائع الفوائد، ج ٤، ص ٩–١٠.

والشاطبي يرى أنه لابد من رد آخر الكلام على أوله حتى يفهم مقصود الشارع: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[1] وهذا يعني أن السياق له دور مهم في فهم الآية.

ويقول"إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مدراه على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو المخاطب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطَبين وبحسب غير ذلك كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها"[2]. وهذا يعني أن مراعاة الحال يساعد في معرفة معنى الآية.

أما البلاغيون فلهم سهم في هذا فقد وصف عبد القاهر الجرجاني الاهتمام بالسياق بأنه علم شريف وأصل عظيم ،فهو يقول: "اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف جانبا وينكر آخر وهو أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها وهذا علم شريف وأصل عظيم)[3].

ويحسن في ختام هذا المبحث أن أبين أنواع السياق:

١-أنواع السياق من حيث حدود الدلالة: سياق جزئي وسياق كلي.

٢-أنواع السياق من حيث العلاقات التركيبية: سياق سابق، وسياق لاحق.

---

(١) الموافقات ٣/٨٥٥.

(٢) الموافقات: ٣/٣٤٧.

(٣) دلائل الإعجاز ١٥٦.

٣-أنواع السياق من حيث العلاقة بين النص ومحيطه الخارجي: سياق المقال، وسياق الحال[١].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن السياق له أهمية كبيرة في النص، وأن المفسر لكلام الله لابد أن ينظر في السياق من جميع جوانبه، ولا يكتفي بالألفاظ وحدها فهو يبين المجمل ويعين المحتمل ويخصص العام ويقيد المطلق، ولابد من رد آخر الكلام على أوله، فإن فرق في أجزائه فلا يتوصل إلى المراد، فاللفظة لها معناها المعجمي واللغوي، ولها معنى آخر من خلال سياقها، ولا يمكن أن نميز معناها إلا من خلال السياق؛ لأن معنى الكلمة يختلف من سياق إلى آخر والخلاصة أن الكلمة لا تفهم إلا من خلال سياقها.

❋❋❋❋❋❋

***مادة سبق وجذرها اللغوي واستعمالاتها.***

في السطور الآتية نتتبع مادة سبق وجذرها اللغوي واستعمالاتها من خلال استعراض عدد من المعاجم اللغوية.

جاء في لسان العرب سبق: السبق: القدمة في الجري وفي كل شيء ؛ تقول: له في كل أمر سبقه وسابقة وسبق، والجمع الأسباق والسوابق. والسبق: مصدر سبق، وقد سبقه يسبقه ويسبقه سبقا: تقدمه. وفي الحديث: أنا سابق العرب ، يعني إلى الإسلام، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق الفرس، وسابقته فسبقته. ويقال: له سابقة في هذا الأمر إذا سبق الناس إليه [٢].

---

(١) انظر الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية ٥٦.

(٢) انظر لسان العرب١٠/١٥١.

وجاء في معجم مقاييس اللغة (سبق) (السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقدم. يقال سَبَقَ يَسْبِق سَبْقاً)[١].

وجاء في المصباح المنير (س ب ق): سَبَقَ سَبْقًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَقَدْ يَكُونُ لِلسَّابِقِ لَاحِقٌ كَالسَّابِقِ مِنْ الْخَيْلِ وَقَدْ لَا يَكُونُ كَمَنْ أَحْرَزَ قَصَبَةَ السَّبْقِ فَإِنَّهُ سَابِقٌ إلَيْهَا وَمُنْفَرِدٌ بِهَا، وَلَا يَكُونُ لَهُ لَاحِقٌ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِلَّذِي يَسْبِقُ مِنْ الْخَيْلِ سَابِقٌ وَسَبُوقٌ[٢].

ويقال في سبق سابَقْتُهُ فسَبَقْتُهُ سَبْقاً. واسْتَبَقْنا في العَدْوِ، أي تَسابَقْنا. وقد قيل في قوله تعالى: "ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ" أي نَنْتَضِلُ. ويقال: له سابِقَةٌ في هذا الأمر، إذا سَبَقَ الناسَ إليه"[٣].

ويتبين من خلال استعراض المعاني اللغوية السابقة لمعنى سبق من خلال تلك المعاجم أن السبق في الأصل هو التقدم والتقديم والغلبة بحيث يكون متقدما على غيره في أي مجال كان ولذلك يرى الراغب أن أصل السبق : التقدّم في السير، ثمّ يتجوّز به في غيره من التقدّم[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٩/٣.

(٢) المصباح المنير ١٤٩/٤.

(٣) الصحاح في اللغة ٣٠١/١.

(٤) انظر معجم مفردات القرآن٢٥٠.

# المبحث الأول: أثر السياق في اختيار صيغة الفعل.

***توطئـة.***

**اختيار الصيغة:**

إذا تأملت لفظة القرآن وجدت الدقة في وضعها واختيارها ومناسبتها لمكانها في الجملة ولا يمكن لكلمة أخرى تحل محلها وتؤدي المعنى الذي سيقت له.

يقول ابن عطية: (وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة وميز الكلام)[1] والرافعي يؤكد على أن لفظة القرآن قارة في موضعها لأنها.....:، ( الأليق في النظم ، ثم لأنه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة، ومع ذلك الإحكام في الإبانة، ومع ذلك الإبدع في وجوه البلاغة، ومع ذلك الأكثر مناسبة في مفردات الآية، مما يتقدمه أو يترادف عليه)[2] فلفظة القرآن دقيقة في اختيارها، وموضعها ،ومناسبتها للآية وسياقها، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي أعجز العرب أهل الفصاحة والبيان، ولا غرابة فهو كتاب الله فقد نزل بمثل ما نبغ به أولئك، لكن لفظة القرآن لها ميزة تنفرد بها من خلال سياقها الذي وردت فيه وتختلف الصيغ باختلاف المقامات والأحوال، والسياق الذي وردت فيه اللفظة هو الذي يحددها؛ لذلك تتنوع الصيغ من اسم إلى فعل، وتختلف الدلالة فدلالة الاسم غير دلالة الفعل، ولكل غرضه، ويؤثر التعبير فيه دون الآخر حسب الحال.

يقول ابن الأثير معلقا مبينا الفرق في التعبير بين الجملة الاسمية والفعلية، فمما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ فإنهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالجملة الاسمية

---

(١) المحرر الوجيز ١/٤٥.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٩٧– ١٩٨.

المحققة بأن المشددة؛ لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر، والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة وفور نشاطِ، فكان ذلك متقبلا منهم، ورائجاً عند إخوانهم، وأما الذي خاطبوا به المؤمنينِ فإنما قالوا تكلفاً وإظهاراً للإيمان خوفاً ومداجاةِ، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطناً، ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة، فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين (آمنا) وفي خطاب إخوانهم (إنا معكم) [١].

وبعد أن يبين أسرار الفرق في التعبير بين الجملتين يقول (وهذه نكت تخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة والبلاغة)[٢].

وصنعة البيان كمثل صنعة البنيان، فالمهندسون البناءون لا يخلقون مادة بناء لم تكن في الأرض ولا يخرجون في صنعتهم عن قواعدها العام، ولذلك يقول محمد دراز (فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين)[٣]، وسبحان الله تنزيل من حكيم حميد وفي السطور الآتية بيان لأسرار التعبير بالاسم والتعبير بالفعل كل في موقعه.

**التعبير بالجملة الفعلية:**

---

(١) المثل السائر ٢/١٥.

(٢) السابق ٢/٥١.

(٣) النبأ العظيم ٩٢.

الفعل يدل على حدث معين مرتبط بزمن[١]. والحدث متغير حسب وقوعه فقد يرتبط بزمن قد مضى فهذا هو الفعل الماضي (ماض، وهو: كلمة تدل على مجموع أمرين؛ معنى، وزمن فات قبل النطق بها)[٢].

وقد يرتبط بزمن حاضر ومتجدد فهذا هو الفعل المضارع الذي يدل على حدث يقع ويستمر وقوعه (ومضارع: وهو: "كلمة تدل على أمرين معًا: معنى، وزمن صالح للحال والاستقبال)[٣]. وأمر مطلوب تحقيقه في المستقبل( وأمر، وهو: كلمة تدل بنفسها على أمرين مجتمعين: معنى، وهذا المعنى مطلوب تحقيقه في زمن مستقبل:)[٤]، وتختلف دلالة كل فعل بحسبه. يقول عبدالقاهر الجرجاني مبينا سر التعبير بالفعل.

(وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء... فإذا قلت: زيد ها هو ذا ينطلق. فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجيه)[٥].

وقد وردت مادة سبق بصيغة الفعل بتصريفاته المتنوعة في عدة مواضع من القرآن، فقد وردت بصيغة الأمر، والمضارع، والماضي، في مواضع متعددة من القرآن الكريم، والفعل الماضي ورد في خمسة عشر موضعاً، والمضارع في خمسة مواضع، والأمر في أربعة مواضع، والاسم في أحد عشر موضعا.

وسوف أبين سر تنوع معناها من حيث انتظامها في سياق مقامات وردوها، حتى ينكشف المعنى من ورودها قدر الاستطاعة.

ولقد تنوعت صيغ الأفعال في مادة (سبق) بين الماضي والمضارع والأمر وفيما يأتي نماذج لها.

---

(١) بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو ٢٩.

(٢) النحو الوافي ١/٤٧.

(٣) السابق ١/٤٧.

(٤) انظر النحو الوافي ١/٤٨.

(٥) دلائل الاعجاز ١/٥٠.

***الفعل الماضي:***

وردت (سبق) بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣] هذه الآيات جاءت مقابلة للآيات السابقة لها فبعد أن ذكر الله حالة الأشقياء يوم القيامة وما يلاقون من عذاب، أتبعه ببيان المقابل لهم وهم السعداء في ذلك اليوم فقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ}. قيل: الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة [١].

أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا لليسرى والأعمال الصالحة[٢].

والسبق، حقيقته: تجاوز الغير في السير إلى مكان معين. ومنه سباق الخيل. واستعمل هنا مجازا في ثبوت الأمن في الماضي [٣].

وذلك لما بين السبق وبين التقدم في الملازمة، أي الذين حصلت لهم الحسنى في الدنيا، حصل لهم الإيمان والعمل الصالح بتوفيق الله وتقديره، كما حصل الإهلاك لأضدادهم بما قدر لهم من الخذلان [٤].

والحسنى : قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة[٥].

والفرق بين الحسن والحسنة والحسنى( أنّ الحَسَنَ يقال في الأعيان والأحداث، وكذلك الحَسَنَة إذا كانت وصفا، وإذا كانت اسما فمتعارف في الأحداث، والحُسْنَى لا

---

(١) انظر تفسير البغوي٥/٢٥٦.

( ٢) انظر تفسير السعدي ٥٣١.

(٣) انظر التحرير والتنوير ١١٥/١٧.

(٤)انظر السابق ١١٥/١٧.

( ٥)انظر تفسير ابن كثير٥/٣٧٨.

يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر)[1]

وتعريف أولئك بالاسم الموصول (للإيماء إلى أن سبب فوزهم هو سبق تقدير الهداية لهم) [2].

وذكر اسم الإشارة بعد ذلك لتمييزهم بتلك الحالة الحسنة، وللتنبيه على أنهم أحرياء بما يذكر بعد اسم الإشارة من الأوصاف[3].

والإشارة بلفظ البعيد للإيماء إلى رفعة منزلتهم. والجمل التالية لها مبينة مكانة هؤلاء الذين سبقت لهم الحسنى فهم لا يسمعون حسيس النار، وهم في نعيم مقيم، وخالدون وآمنون ومطمئنون يوم الفزع الأكبر والملائكة قد استعدت للقاء هؤلاء السعداء وتقول لهم ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ (أي هذا يوم تعجيل وعدكم. والإشارة باسم إشارة القريب لتعيين اليوم وتمييزه بأنه اليوم الحاضر)[4]، وبدون مراعاة السياق لا يمكن فهم هذه اللفظة بهذا المعنى ولاشك أن هؤلاء المتقين يستحقون هذه المنزلة العالية؛ لأنهم سبقت لهم السعادة من الله فوفقوا للأعمال الصالحة في الدنيا التي كانت من أسباب بلوغهم هذه المنزلة فهؤلاء الذين عرفوا الله في الدنيا وتقربوا إليه بصالح العمل سبق لهم وعد من الله أن ينجيهم من الهول العظيم وهذا يدل على علم الله وإحاطته بعباده سبحانه وتعالى.

ومن الفعل الماضي (سبق) في قوله تعالى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [الأنفال: ٦٨-٦٩]، هذه الآية جاءت في سياق معاتبة الله لرسوله وللمؤمنين يوم بدر عندما أسروا المشركين وأبقوهم قال

---

(١) معجم مفردات القران ١/٢٣٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٧/١١٥.

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٧/١١٥.

(٤) التحرير والتنوير ١٧/١١٥.

تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾ [الأنفال: ٦٧] فجاء العتاب من الله لهم. (قال ابن عباس: كانت الغنائم محرمة على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان، فكانت النار تنزل من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في أخذ الغنائم والفداء، فأنزل اللّه عز وجل: لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ)[1].

والكتاب السابق أدى إبهامه إلى اختلاف العلماء فيه على أقوال:

الأول: إحلال الغنائم، فإنها كانت محرمة على من قبلنا. وقيل الكتاب السابق هو مغفرة الله لأهل بدر، ما تقدم أو تأخر من ذنوبهم. وقالت فرقة: الكتاب السابق هو عفو الله عنهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر في أهل بدر: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وقيل: الكتاب السابق هو ألا يعذبهم ومحمد عليه السلام فيهم. وقيل الكتاب السابق هو ألا يعذب أحدا بذنب أتاه جاهلا حتى يتقدم إليه. وقالت فرقة : الكتاب السابق هو مما قضى الله من محو الصغائر باجتناب الكبائر. ويرى القرطبي أن اصح الأقوال الأول[2]. في حين يرى الطبري، أنه خبر عامٌّ غير محصور على معنى دون معنى فهو يقول: (فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى، وقد عم الله الخبر بكل ذلك، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه)[3]. ولعل الرأي الذي يرى إحلال الغنائم بعد أن كانت محرمة هو المناسب لسياق الآية والسياق اللاحق بعدها يبين ذلك فقد قال سبحانه ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾ [الأنفال: ٦٩]. وهذه الآية: { لَوْلَا

(١) تفسير الخازن٢/٣٢٨.

(٢) ينظر القرطبي ٨/٥٠.

(٣) الطبري١٤/٧١.

كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ } مستأنفة استئنافا بيانيا يؤذن بأن مفاداة الأسرى أمر مرهوب تخشى عواقبه، فيستثير سؤالا في نفوسهم عما يترقب من ذلك فبينته الآية[١].

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو نزل في هذا الأمر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب[٢].

وقد نكر الكتاب تنكير نوعية وإبهام، أي: لولا وجود سنة تشريع سبق عن الله[٣]. ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط[٤].

والمس حقيقته: اتصال الجسم بجسم آخر وهو مجاز في إصابة الشيء وحلوله[٥].

وقد أبانت الآية الكريمة امتناع وقوع العذاب بسبب الكتاب السابق من الله وهذا حسن تعليل فسبق الكتاب من اللّه تعالى هو العلة في النجاة من العذاب[٦]. والله أعلم.

وهذه الآية الكريمة تبيِّن أن الله سبحانه وتعالى سبق أن بين أنه لا يحاسب أحداً إلا بعد أن ينزل التشريع الذي يرتب المقدمات والنتائج، ويحدد الجرائم والعقوبات ولولا ذلك لنزل بالمؤمنين العذاب لأخذ الأسرى ولكن بما أن هذا الفعل لم يجرَّم من قبل فلا عقاب عليه[٧].

وهذا من رحمة الله بالمؤمنين فرحمته سبقت غضبه.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٢/٢٩٩.
(٢) انظر المحرر الوجيز ٣/٢١١.
(٣) انظر التحرير والتنوير ٢/٢٩٩.
(٤) انظر إعراب القران وبيانه ٤/٤٢.
(٥) انظر التحرير والتنوير ٢/٢٩٩.
(٦) انظر إعراب القران وبيانه ٤/٣٤.
(٧) انظر تفسير الشعراوي ١/٣٣٣٩.

وجاء الفعل الماضي (سبقت) في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١] استئنافٌ مقررٌ للوعيدِ وهذه الآية وعد من الله تعالى لعباده المؤمنين بالنصر والغلبة ولذلك صدرت الآية بالقسم والغرض من القسم (لغايةِ الاعتناءِ بتحقيقِ مضمونِه أي وبالله لقد سبقَ وعدُنا لهم بالنُّصرةِ والغَلَبةِ)[١].

فبين أن وعده بنصرته قد تقدم وسبق والدليل عليه قوله تعالى ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة: ٢١]، والغلبة والنصرة فقد تكون بقوة الحجة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والثبات.

فالمؤمن وإن صار مغلوباً في بعض الأوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب في الآخرة، فالحكم في ذلك للأغلب في الدنيا فلا ينافي ذلك قتل بعض الأنبياء عليهم السلام وهزم كثير من المؤمنين، وإنما سمى ذلك كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد[٢]، على أن العاقبة المحمودة لهم على كل حال، وفي كل موطن[٣].

وهذه الآية تبين أن سنة اللّه مضت وسبقت وقضت بأن الله وعد عباده الصالحين بأنه ناصرهم ومؤيدهم، فهم جنده ولن يتخلى سبحانه عن جنده، وقد أشارت الآية إلى ذلك بنون العظمة (جندنا) ولابد أن يحققوا هذه الصفة بأن يدافعوا عن دينه حتى يكونوا من جند الله الذين يستحقون النصر الذي وعدهم به، وفيها تثبيت للمؤمنين مهما ادلهمت عليهم الخطوب، فهذا وعد سابق من الله بأن العاقبة والنصر لجند الله.

وورد الفعل الماضي (سبقكم) في قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

---

(١) أبي السعود ٤٥٩/٥.

(٢) انظر السراج المنير ٣٢٣/٣.

(٣) انظر فتح القدير ٢٢٤/٦.

بعث الله سبحانه وتعالى لوطا عليه السلام إلى أهل "سَدُوم" وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله، عز وجل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، وهو إتيان الذكور. وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل "سَدُوم" عليهم لعائن الله[١].

والفاحشة في الأصل صفة لموصوف محذوف ثم نزل الوصف منزلة الاسم لكثرة دورانه، فصارت الفاحشة اسما للعمل الذميم وغلبت الفاحشة في الأفعال الشديدة القبح وهي التي تنفر منها الفطرة السليمة [٢].

وقد اشتهر هؤلاء بفاحشة اخترعوها، وبلغت الغاية في القبح والشناعة، حتى استحقت أن يطلق عليها الفاحشة؛ لأنها (استغرقت أنواع الفحش)[٣].

وآية: {مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ } مستأنفة استئنافا ابتدائيا، فإنه بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وعبر عنها بالفاحشة، وبخهم بأنهم أحدثوها.

والسبق حقيقته: وصول الماشي إلى مكان مطلوب له ولغيره قبل وصول غيره، ويستعمل مجازا في التقدم في الزمان، أي الأولية والابتداء، وهو المراد هنا، والمقصود أنهم سبقوا الناس بهذه الفاحشة إذ لا يقصد بمثل هذا التركيب أنهم ابتدئوا مع غيرهم في وقت واحد. [٤].

وجملة «مَا سَبَقَكُم ... »: في محلّ نصب حال من الفاعل في (تأتون)، أي: مبتدئين بها، أو من الفاحشة أي: غير مسبوقة من غيركم[٥].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٤٤٤.
(٢) انظر التحرير والتنوير ٨/٦٤.
(٣) انظر السعدي١/٢٩٦.
(٤) انظر التحرير والتنوير ٨/١٧٨.
(٥) انظر الجدول ٨/٤٦٥.

و"من" الداخلة على "أحد" لتوكيد النفي للدلالة على معنى الاستغراق في النفي. و"من" الداخلة على {ٱلۡعَٰلَمِينَ} للتبعيض[1].

ولذلك قال السعدي رحمه الله (فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضا)[2]. والغرض البلاغي من الآية الكريمة توبيخ هؤلاء المجرمين على هذه الفعلة الشنيعة، والإنكار عليهم؛ لكونها لم يسبقهم إليها أحد من العالمين وسنوها لمن جاء بعدهم، وتفظيع هذه الجريمة الشنيعة، وأنها بلغت الغاية في القبح والشناعة.

ومن الفعل الماضي (استبقوا) في قوله تعالى﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦﴾ [يس: ٦٦] في الآيات السابقة لهذه الآية ذكر الله حال المؤمنين وحال المجرمين وبين مصير كل منهما، فالمؤمنون في نعيم خالد؛ لأنهم اتبعوا المرسلين، والمجرمون في شقاء؛ لأنهم اتبعوا الشيطان فقادهم إلى هذا المصير المؤلم. وفي هذه الآية ذكر سبحانه أنه رحمة منه بعباده لم يشأ أن يعاقبهم في الدنيا بعقوبة شديدة من طمس الأعين ومسخهم وتغيير صورتهم.

والطمس إزالة أثره بالكلية يقال طمسته أي: محوته واستأصلت أثره أي: لسوينا أعينهم ومحوناها بأن أزلنا ضوءها وصورتها بحيث لا يبدو لها شق ولا جفن، وتصير مطموسة ممسوخة كسائر أعضائهم[3].

ومعنى استبق الصراط جاوزه وظاهره أنه حقيقة في ذلك، وقيل: هو مجاز والعلاقة اللزوم، والمعنى ولو نشاء لفعلنا ما فعلنا في أعينهم فلو طالبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً ومعنى هذا أنهم لا يقدرون

---

(١) انظر التحرير والتنوير ١٧٨/٨.

(٢) انظر السعدي ٢٩٦.

(٣) انظر روح البيان ٣٣٣/٧.

إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك، كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضربوا به من المقاصد دون غيرها[١].

وإيثارُ صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المُضيِّ لإفادة أنَّ عدمَ الطَّمس على أعينهم لاستمرار عدمِ المشيئة [٢]؛ ولذلك قال الألوسي (فإن المضارع المنفي الواقع موقع المضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه) [٣].

وحرف الاستعلاء للدلالة على تمكن الطمس وإلا فإن طمس يتعدى بنفسه.[٤]و(الفاء) عاطفة[٥]. والتعبير بالفاء يدل على السرعة والمبادرة والحرص على الوصول إلى مقاصدهم (أي ابتدروا الصراط متسابقين، أي مسرعين لما دهمهم رجاء أن يصلوا إلى بيوتهم قبل أن يهلكوا فلم يبصروا الطريق) [٦].

والصراط من السبيل ما لا التواء فيه، بل يكون على سبيل القصد[٧]. وهو منصوب على نزع الخافض أي إلى الصراط[٨].

والاستباق: افتعال من السبق، والافتعال دال على التكلف والاجتهاد في الفعل أي فبادروا. وانتصابه بنزع الجار؛ لأن الصراط مسبوق إليه لا مسبوق [٩]. فهم حريصون للوصول لبيوتهم قبل أن يحال بينهم وبينها، فالفاء دخلت على الفعل (استبقوا) ؛للدلالة

---

(١) روح المعاني ٤٤/١٢ بتصرف.
(٢)انظر أبي السعود٥/٤٢٣.
(٣) روح المعاني١٢/٤٤.
(٤) انظر التحرير والتنوير٢/٤١.
(٥) انظر الجدول٢٣/١٨.
(٦) التحرير والتنوير٢٢/٢٥٨.
(٧)انظر روح البيان ٧/٣٣٣.
(٨) انظر الجدول ٢٣/٢٨.
(٩) انظر روح البيان ٧/٣٣٣.

على مسارعتهم في سلوك الطريق قبل أن تسلب الحاسة منهم. واختيار حرف الفاء هو المناسب للمقام ولا يقوم حرف مكانه في أداء هذا المعنى المراد تقريره. وعلى هذا فيكون المقصود باستباق بالصراط هنا الطريق الذي يسلكونه لحاجتهم، فتكون العقوبة في الدنيا. وهناك رأي يرى أن المراد بالصراط الجسر الممدود على جهنم، وقد روي هذا عن عبد الله بن سلام وأن ذلك يكون يوم القيامة وقال: (إذا كان يوم القيامة ومد الصراط.، نادي مناد ليقم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط، فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجارهم، فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه)[1]؛ ولذلك قال الشيخ السعدي (وفي ذلك الموطن، ما ثَمَّ إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند اللّه عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة)[2]. ولعل السياق يدل على أن ذلك يحدث في الدنيا وليس في الآخرة ،وهذا من رحمة الله بهم أن أبقى عليهم حواسهم ؛لكي ينتفعوا بها لعلهم يرجعون عن غيهم وضلالهم (فالطمس والمسخ المتعلقان على الشرط الامتناعي طمس ومسخ في الدنيا لا في الآخرة)[3] والله اعلم.

وقرأ عيسى بن عمر « فاستبقوا » على صيغة الأمر، أي: فيقال لهم: استبقوا، وفي هذا تهديد لهم[4]. وقوله { فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ } و(أنّى) اسم استفهام في محلّ نصب

---

(١) القرطبي ١٥/٥٠.

(٢) تفسير السعدي ٦٩٨.

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/٢٧٥.

(٤) انظر فتح القدير ٦/١٧٦.

ظرف مكان متعلّق بمحذوف حال- جاء بمعنى كيف[1]. وكيف هنا إنكار فتفيد النفي وحاصلة تهديد لأهل مكة بالطمس[2].

أي كيف يبصرون الطريق ويستبقون ويذهبون إلى مقاصدهم وأعينهم مطموسة ومعنى الاستفهام هنا الاستحالة فنعمة الإبصار من نعم اللّه، وقد أبقاها اللّه لهم فلم يطمسها فهو سبحانه رحيم بالعباد، ويبين أنه لم يشأ أن يعاقب هؤلاء المكذبين بعقوبة شديدة تذهب أبصارهم، حيث أعطاهم الفرصة وحفظ عليهم حواسهم وأبصارهم ولم يعاجلهم بالعقوبة (وفي هذا إعذار وإنذار ربانيان للكفار، وحكمة ربانية سامية مستمرة الإلهام والتلقين وهي الدعوة إلى الانتفاع بالمواهب التي أودعها اللّه في الناس؛ بالاستدلال على سبيل الحق والهدى والخير والسير فيها وعدم تعطيلها)[3].

ومن الفعل الماضي ( سبقونا) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١ ﴾ [الأحقاف: ١١]. ولقد تعددت الأقوال والمقول في القائلين عنهم قال:

قتادة : هي مقالة قريش، يريدون عماراً وصهيباً وبلالاً ونحوهم ممن أسلم وآمن بالنبي عليه السلام. وقال الزجاج وغيره: هي مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب المجاورة، قالت ذلك حين أسلمت غفار ومزينة وجهينة. وقال الثعلبي: هي مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام[4].

---

(١) ينظر الجدول٢٣/٢٨.

(٢) ينظر روح البيان ٧/٣٣٣.

(٣) التفسير الحديث ٨/٣٨.

(٤) المحرر الوجيز٦/١١٤ وانظر التفسير الحديث ٥/١٣.

ونجد الآية تضمنت قوله (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) ويقصدون به القرآن وما جاء به محمد ﷺ من الهدى والنور: (قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه)[١]. وقالوا هذا الكلام على سبيل السخرية والاستهزاء بهم.

والسبق هنا أطلق على تحصيل شيء قبل أن يحصله آخر، والمراد: الأخذ بما جاء به القرآن[٢]. فهؤلاء لما سمعوا الهدى أسرعوا إليه قبل غيرهم وسبقوهم، وهؤلاء المقياس عندهم فاسد فهم أصحاب الجاه والسيادة، فكيف يسبقهم –في نظرهم – الفقراء والضعفاء إلى هذا لأن (معاليَ الأمورِ لا ينالُها أَيْدِي الأراذلِ ، وهُم سُقَّاطُ، عامَّتُهم فقراءُ ومَوالٍ ورعاةٌ قالُوه زعماً منهم أنَّ الرياسةَ الدينيةَ مما يُنالُ بأسبابٍ دنيويةٍ)[٣]. وأن ما جاء به محمد ليس مما تهفو إليه نفوس أصحاب الجاه والمنزلة، ولذلك انخدع به أولئك وسبقونا إليه.

وهذا المقياس فاسد –في نظرهم – والدليل اضطرابهم في سبب رفض الحق فمرة يقولون لو كان خيرا ما سبقونا إليه، ومرة يقولون هذا إفك قديم، ولذلك قال السعدي (ولكن هذا الكلام الذي صدر منهم يعزون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه)[٤]. وإذ ظرف لما مضى من الزمن[٥].

وإذا قدم الظرف في الكلام على عامله أشرب معنى الشرط ، وكثير في {إذ}، ولذلك دخلت الفاء في جوابه في قوله {فسيقولون}[٦] .. وانتظمت الجملة هكذا (لإفادة هذه الخصوصيات البلاغية، فالواو للعطف، والمعطوف في معنى شرط والفاء لجواب

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٧٨/٧.
(٢) انظر التحرير والتنوير ١٩/٢٦.
(٣) تفسير أبي السعود ١٣٨/٦.
(٤) تفسير السعدي ٧٨٠
(٥) انظر إعراب القران ٢٢٤/٣.
(٦) انظر التحرير والتنوير ٢٠/٢٦.

الشرط. وأصل الكلام: وسيقولون هذا إفك قديم إذ لم يهتدوا به)[1]. والجملة الخبرية (هذا إفك قديم) والفعل المضارع (سيقولون) يدل على ثباتهم في الضلال واستمرارهم وعدم إقلاعهم.

ويفهم مما سبق أن الآية استمرار للسياق السابق، في بيان موقف الكفار من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وحجاجهم في سبب عدم اتباعهم لدعوته، وهو أنها لو كانت حقا وصدقا وخيرا لما تركنا الفقراء يسبقوننا؛ لأنهم بزعمهم هم المستحقون السبق لكل مكرمة وسبب قولهم هذا، (اعتقادهم الباطل، أنهم هم الذين لهم عند اللّه العظمة والجاه والسبق إلى كل مكرمة، لأنهم هم أصحاب المال والسلطان ، أما أولئك الفقراء فلا خير فيهم ، ولا سبق لهم إلى خير)[2]. ولذلك ظنوا أنهم هم المستحقون لكل سبق (فهم – لانطماس بصائرهم وغرورهم – توهموا أنهم لغناهم وجاههم هم المستحقون للسبق إلى كل خير، وأن غيرهم من الفقراء لا يعقل ما يعقلونه، ولا يفهم ما يفهمونه).[3] .

وتعبير القرآن بالسبق له دلالته، فهو يدل على تحصيل الخير قبل الغير من قبل أولئك ،و يدل على حرصهم خوفا أن يسبقهم غيرهم، والثناء عليهم فقد سبقوا الذين يظنون أنهم يملكون المكانة الاجتماعية ،والعقول الراجحة، ولذلك سقطوا، ولم يسلكوا طريق الهداية، رغم ما يملكون من مال وجاه وعقل. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن الفعل الماضي ( سبقونا) في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] [1]. قال البغوي في تفسير هذه الآية (يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠/٢٦.

(٢) التفسير الوسيط ١٨٧/١٣.

(٣) التفسير الوسيط ١٨٨/١٢.

بالإيمان والمغفرة فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] من كان في قلبه غِلّ على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار، والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين)[1].

وهذا شامل لجميع المؤمنين من السابقين واللاحقين، ولذلك قال العلامة ابن سعدي(جميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان، المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا، ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره ، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين )[2].

ونجد الآية تضمنت قوله {يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ } (والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين، ومراعاتهم لحقوق الأخوة في الدين والسبق بالإيمان)[3]. فهم يدعون لهم بهذا الدعاء الخالص لهم ولإخوانهم.

والتعبير بالفعل المضارع (يقولون) يدل على الاستمرار في الحاضر والمستقبل، وهكذا المؤمن يدعو لمن سبقه بالخير من أم أو أب أو معلم أو غيرهم ،وقوله(سبقونا) اعتراف بالفضل لأهله ولذلك يدعون ربهم أن ينزع ما في قلوبهم من

---

(١) تفسير البغوي٨/٧٩.

(٢) تفسير السعدي ٨٥١.

(٣) تفسير أبي السعود ٦/٣٠٢.

غل وحقد وحسد لمن سبقهم بالخير لأن(الحقد والحسد هما رأس كل خطيئة ، وينبوع كل معصية ، فهما يوجبان سفك الدماء والبغي والظلم والسرقة ، وسائر أنواع الفجور)[١].

ثم أكدوا دعاءهم بالجملة الخبرية المؤكدة {إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } والجملة الاسمية تعليل للدعاء[٢].

أي مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا وفي الآية دليل على أن الترحم والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما لآبائهم ولمعلمهم أمور الدين[٣].

ومن الفعل الماضي (استبقا) في قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فقد تعرض يوسف عليه السلام لمحن كثيرة في حياته، ومن هذه المحن مراودة امرأة العزيز لهذا الفتى وشغفها به، وقد عرض القرآن الكريم هذا الابتلاء بصورة كأننا نشاهدها، فقد عرض القرآن كيف استعدت هذه المرأة لهذه المراودة و أغلقت الأبواب، ولم يبق إلا تحقيق هذا الهدف،ولكن الله عصمه، وحاول الهرب منها فلحقته، وذكر سبحانه أنه سارع بالهرب منها وسارعت هي باللحاق به والسياق يتحدث عن الفتن التي تعرض لها يوسف وهي محن متنوعة ومتعددة.

فقوله تعالى:{ وَٱسۡتَبَقَاٱلۡبَابَ } يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه[٤]، و يوسف عليه السلام أراد أن يسبق ليفتح الباب

---

(١) تفسير المراغي٢٨/٤٥.
(٢) انظر إعراب القرآن ٣/٣٢٧.
(٣) انظر روح البيان ٩/٣٥٤.
(٤) انظر زاد المسير ٣/٤١٩.

ويخرج هربا منها، ولحقته لئلا يخرج، وقد استعدت المرأة لهذا الموقف فقد أغلقت الأبواب فلديها فرصه لإمساكه لأنه سيتوقف لفتح الباب.

و(الباب) منصوب على نزع الخافض أي إلى الباب[١]. (فأوصل الفعل إلى المفعول بدون (إلى)، دليلاً على أن كلا منهما بذل أقصى جهده في السبقِ)[٢]. أي واستبقا إلى الباب والدلالة التي يمكن استنتاجها من نزع الخافض بيان أن الأنظار كلها متجهة إلى الباب باختلاف المقاصد، فهو يهرب منها بأقصى سرعة وهي كذلك.وقد سبقها ولكن عاقه عن السير والهروب الاشتغال بفتح الأبواب، (ولكن عاقه إتقانها للمكر بكون الأبواب كانت مغلقة ، فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بأدنى ما وصلت إليه من قميصه)[٣]؛ وذلك قوله سبحانه { وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ }.

والاستباق: افتعال من السبق. وهو هنا إشارة إلى تكلفهما السبق، أي أن كل واحد منهما يحاول أن يكون هو السابق إلى الباب [٤].

فكل واحد منهما يحاول أن يسبق صاحبه إلى الباب، هي لترده إلى نفسها، وهو ليهرب عنها. وقيل: المراد من السبق في جانبها (الإسراع إثره إلّا أنه عبر بذلك للمبالغة)[٥]. وعندما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة هرب ولحقته، وتعلقت بثوبه وشقت قميصه، وفي هذه اللحظة وجدت زوجها عند الباب عندها بادرت بالاعتذار خوفا على نفسها.

فبادرت إلى الكذب، أن المراودة قد كانت من يوسف ولذلك قال الألوسي، (ولقد أتت في تلك الحالة التي يدهش فيها الفطن اللوذعي حيث شاهدها زوجها على تلك الهيئة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال،

---

(١) انظر الجدول ٤٠٨/١٢.
(٢) نظم الدرر ٣١/٤.
(٣) نظم الدرر ٣١/٤.
(٤) انظر التحرير والتنوير ٤٩/١٢.
(٥) روح المعاني ٤٠٨/٦.

واستنزال يوسف عليه السلام عن رأيه في استعصائه عليها، وعدم مواتاته لها على مرادها، بإلقاء الرعب في قلبه)[1]. وهكذا بينت الآية الكريمة {وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ} حرص يوسف على النجاة من هذه الفتنة، ومبالغته في الهرب منها.

**الفعل المضارع:**

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف: ١٦-١٧]، وهذه الآية جزء من آيات تعرض مشهداً لحوار دار بين إخوة يوسف وأبيهم.

وهذه الآية: لها علاقة وارتباط بالآيات السابقة فهذه الآية تعرض لمشهد الأخوة بعد تنفيذ جريمتهم بيوسف فعند العشاء جاء أخوة يوسف يبكون، ليحكوا لأبيهم ما حصل، فقد زعموا أن الذئب أكل يوسف، وكيف يأكله؟ وقد حذرهم أبوهم منه، وهذا يدل على بداية الكذب، وأن الأمر مريب.

وكل تعبير في القرآن له دلالته فلماذا اختاروا العشاء ولم يختاروا النهار، هذا يوحي بأنهم يحملون خبراً كاذباً، ولا يريدون أن يظهر على قسمات وجوههم فيفتضح أمرهم؛ لأن الليل يستر والنهار يفضح، ولذلك (قيل: وإنما جاؤوا عشاء؛ ليكون أقدر على الاعتذار في الظلمة)[2]، وعشاء أي ليلا، وهو ظرف يبكون في موضع الحال[3].

والعشاء: من الغروب إلى العتمة: أي حين يخالط سواد الليل بقية بياض النهار[4]. وفي الكلام حذف تقديره: وجاءوا أباهم دون يوسف عشاء يبكون، فقال: أين

---

(١) روح المعاني ٤٠٨/٦.

(٢) البحر المحيط ٢٣٩/٥.

(٣) انظرتفسير القرطبي ١٤٤/٩.

(٤) انظر تفسير المراغي١٢١/١٢.

يوسف؟ قالوا: إنا ذهبنا[1]، والتعبير بالفعل المضارع (يبكون) يدل على تصوير حالتهم الحزينة حينما دخلوا على أبيهم وهم يبكون، ويدل على استمرار بكائهم.

وروي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: ما لكم يا بَنِيَّ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا. قال: فما أصابكم وأين يوسف؟[2].

والبكاء: خروج الدموع من العينين عند الحزن والأسف والقهر[3]، وهنا سؤال هل فعلا كانوا يبكون وهم الذين فعلوا الجريمة النكراء؟ السياق والفعل يدل على أنهم يتباكون وليس يبكون فالقرائن والأفعال تدل على أن هذا البكاء بكاء مصطنع وليس بكاء حقيقيا.

(والبكاء هنا أطلق على البكاء المصطنع وهو التباكي. وإنما اصطنعوا البكاء تمويها على أبيهم؛ لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف عليه السلام، ولعلهم كانت لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان موجبه، وفي الناس عجائب من التمويه والكيد)[4]؛ ولذلك قال القرطبي (قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعا؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى)[5]، فأخوة يوسف لما رجعوا باكين فقالوا – متعذرين بعذر كاذب – {يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ}، والاستباق: افتعال من السبق وهو هنا بمعنى التسابق [6]، أَي نتسابق ، والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل: والارتماء والترامي، وغير ذلك[7]، أي متسابقين في العدو على الأقدام على ما روى عن

---

(١) انظر البحر المحيط ٢٣٩/٥.
(٢) انظر تفسير البغوي ٢٢٢/٤.
(٣) انظر التحرير والتنوير ٣٤/١٢.
(٤) التحريروالتنوير ٣٤/١٢.
(٥) القرطبي١٤٥/٩.
(٦) انظر التحرير والتنوير ٣٥/١٢.
(٧) انظر الكشاف٤٥١/٢.

السدسي، أو في الرمي بالسهام كما قال الزجاج، أو في أعمال نتوزعها من سقي ورعي واحتطاب أو في الصيد وأخذه[١]، والمعنى. نتسابق في العدو أو في الرمي أو في أعمال نتوزعها.

و السبْق مصدر سبَق يسبِق.

قال ابن فارس: (السين والباء والقاف يدل على أصل واحد صحيح، يدل على التقديم، يقال: سبَق يسبق سبقاً)[٢]، وهؤلاء إنما جاءوا متأخرين على غير العادة ؛ليكون دليلا على أنهم صادقين في حرصهم عليه، فقالوا معتذرين (إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب). وهذا الاعتذار منهم بداية الكذب، فبدلا من أن يكون هو المقصود بالمرح واللعب والإنس إذ به يكون حارسا للمتاع، وهذا غاية العجب، والتعبير بالفاء في قوله (فأكله) للدلالة على سرعة أكل الذئب ليوسف فلم يتمكنوا من إنقاذه ولم يبق منه شيء وفي تفسير البغوي قال: (إنهم جاءوا بذئب ، وقالوا : هذا الذي أكله فقال له يعقوب : يا ذئب ، أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي؟ فأنطقه الله عز وجل ، فقال : تالله ما رأيت وجه ابنك قط.)[٣]، وهم يعلمون عدم تصديق أبيهم لهم؛ لأن المخاطب عالم بمضمون الخبر لذلك قالوا {وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا} خبر مستعمل في لازم الفائدة. وهو أن المتكلم علم بمضمون الخبر. وهو تعريض بأنهم صادقون فيما ادعوه؛ لأنهم يعلمون أباهم لا يصدقهم فيه، فلم يكونوا طامعين بتصديقه إياهم[٤].

وجملة {وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ} في موضع الحال فالواو واو الحال.{وَلَوۡ} اتصالية، وهي تفيد أن مضمون ما بعدها هو أبعد الأحوال عن تحقق مضمون ما قبلها في ذلك الحال والتقدير: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين[٥]، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا ولو

---

(١) روح المعاني ٣٩١/٦.
(٢) معجم مقاييس اللغة ١٢٩/٣.
(٣) البغوي ٢٢٣/٤.
(٤) انظر التحرير والتنوير ٣٥/١٢.
(٥) انظر التحرير والتنوير ٣٦/١٢.

كنا عندك صادقين، (فكيف وأنت تتهمنا في ذلك؟ ولك العذر في هذا لغرابة ما وقع ، وعجيب ما اتفق لنا في ذلك الأمر)[1]. وهم في هذا يعلمون تردد أبيهم في قبول دعواهم (لأنهم هم . في الواقع . لا يقبلونها فيما بينهم وبين أنفسهم)[2].

وهذا القول منهم (يدلُ على الارتياب، وكما قيل في المَثَلِ: (يكاد المريبُ يقول: خذوني)[3].

والخلاصة أن غرض الآية { إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ } جاءت في سياق الأدلة التي تم تقديمها لأبيهم من أجل التأكيد على براءتهم من دم يوسف، وصدقهم فيما ادعوه من براءتهم.

ومن الفعل المضارع (يسبقونا) في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤] قال البغوي في تفسير هذه الآية { أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ } يعني الشرك، { أَن يَسْبِقُونَا } يُعْجزونا ويفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم،{ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ } بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك)[4]. وقيل إن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وأبي جهل، والأسود، والعاص بن هشام، وشيبه، وعتبه، والوليد بن عتبه، وعقبة بن أبي معيط، وحنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن وائل[5]. وهذه الآية جاءت في سياق الآيات السابقة التي بينت أن الله تعالى لا بد من أن يبتلي عباده المؤمنين ويختبرهم؛ ليتبين مدى صلابة إيمانهم وقوة يقينهم، وهذه سنة الله في

---

(١) تفسير المراغي١٢/١٢٢.

(٢) التفسير القرآني ٦/١٢٤٥.

(٣) صفوة التفاسير ٢/٤٩.

(٤) البغوي ٦/٢٣٢.

(٥) انظر القرطبي ١٣/٣٢٦ .

عباده السابقين واللاحقين.ومعنى (يسبقونا) أي يفوتونا ويعجزونا قبل أن نؤاخذهم بما يفعلون[١]. وقيل: أن يهربوا منا ويفوتونا بأنفسهم[٢].

ويرى ابن عطية أن أم معادلة للألف في قوله: أَحَسِبَ يقول (وكأنه عز وجل قرر الفريقين: قرر المؤمنين على ظنهم أنهم لا يفتنون، وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أنهم يسبقون نقمات اللّه ويعجزونه)[٣]. والله أعلم.

والسبق: التقدم في السير. ولكنه هنا مستعمل مجازا في النجاة والانفلات[٤].

والتعبير بهذه اللفظة (يسبقونا) له دلالته، فهو يبين حرصهم على الإفلات من العذاب والفرار منه، فكأن هؤلاء بظنهم السيئ عندما يعذبون المؤمنين ويشركون بالله ويعصونه يظنون أنهم قادرون على الفرار من عذاب الله، والإفلات منه، وهذا الظن قادهم وأوهمتهم نفوسهم المريضة إلى أنهم نجوا وأفلتوا من العقاب، فجاء ختام الآية ليكشف زيف هذا الظن (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) (أي بئس الحكم ما حكموا في صفات ربهم أنه مسبوق والله القادر على كل شي)[٥]. والحكم مستعمل في معنى الظن والاعتقاد (تهكما بهم بأنهم نصبوا أنفسهم منصب الذي يحكم فيطاع)[٦]. وهذه الآية وإن نزلت بسبب فهي تخص المؤمنين والكافرين وكل من ارتكس في الموبقات، وظن النجاة والإفلات من عذاب الله، ولذلك قال أبو حيان (والآية، وإن نزلت على سبب، فهي تعم جميع من يعمل السيئات من كافر ومسلم)[٧].

---

(١) انظر القرطبي١٣/٣٢٦.
(٢) انظر البحر المحيط ٨/٣٤٠.
(٣) المحرر الوجيز٥/٢١٥.
(٤) انظر التحريروالتنوير٢٠/١٣٠.
(٥) القرطبي ١٣/٣٢٧.
(٦) التحرير والتنوير ٢٠/١٣٠.
(٧) البحر المحيط٨/٣٤٠.

ومن الفعل المضارع ( يسبقونه ) في قوله تعالى ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٧] هذه الآية متصلة بما سبقها من آيات فبعد (أن أبطلت الآيات السابقة الشرك، ونددت بالمشركين، جاءت هذه الآيات في إبطال باطل آخر)[١]. وهو اعتقادهم أن الله اتخذ ولدا فهي تتحدث عن الملائكة الذين زعم بعض العرب أنهم بنات الله، فهو سبحانه يقول ردًا على هذا الزعم، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ [الأنبياء: ٢٦] قيل إنها نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله[٢].

فهذه الآية تبين جزءا من أقوالهم الباطلة، فهي معطوفة على ما سبقها من آيات تبين باطلهم فيما اتخذوا من دون الله آلهة.

(والملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا)[٣]. فهم في غاية الأدب مع ربهم سبحانه فهم { لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ } أي: لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به، بل يبادرون إلى فعله [٤]: فهم يقولون بأمره وكذلك يعملون بأمره، لا بغير أمره أصلا[٥].

والقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور في قوله{وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ } (معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره.)[٦]؛ ولذلك قال ابن عاشور (وتقديم {بأمره} على {يعلمون} لإفادة القصر، أي لا يعلمون عملا إلا عن أمر الله تعالى فكما

---

(١) أيسر التفاسير ٢/٤٦٩.
(٢) انظر روح البيان ٥/٣٤٦.
(٣) تفسير ابن كثير ٥/٣٣٨.
(٤) انظر السابق ٥/٣٣٨.
(٥) انظر روح البيان ٥/٣٤٦.
(٦) تفسير أبي السعود ٤/٤١٠.

أنهم لا يقولون قولا لم يأذن فيه، كذلك لا يعلمون عملا إلا بأمره.)[1] فهم لا يسبقونه بقول ولا فعل.

والسبق، حقيقته: التقدم في السير على سائر آخر. وقد شاع إطلاقه مجازا على التقدم في كل عمل. ومنه السبق في القول، أي التكلم قبل الغير كما في هذه الآية[2].

فكما أنهم لا يسبقونه بالقول، كذلك لا يسبقونه بالفعل؛ لكمال انقيادهم وطاعتهم له. وهو سبحانه وتعالى عِلْمه محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية، فهو ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: أمورهم الماضية والمستقبلة، فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى فهو تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده[3].

فالله سبحانه محيط بهم، وهم يراقبونه في جميع شئونهم.فلا يشفعون لأحد إلا بإذنه، وهم في خوف وإشفاق من ربهم خوفا أن يتجاوزوا حدودهم، ولذلك فإن الآية اللاحقة تبين بعض جزيئات عدم سبقهم لربهم ولذلك قال السعدي: (ومن جزئيات وصفهم، بأنهم لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه، فإذا أذن لهم، وارتضى من يشفعون فيه، شفعوا فيه) [4] وهكذا كشفت لنا الآية الكريمة معنى جديدا للسبق وهو أن هؤلاء الملائكة في غاية الأدب مع ربهم فهم لا يتقدمونه بقول أو فعل وهم تابعون خاضعون لأمره ولا يمكن أن نفهم هذا المعنى للسبق إلا من خلال السياق.

وورد الفعل المضارع (تسبق) في قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝٥ ﴾ [الحجر: ٥] هذه الآية جاءت في سياق الوعيد للمكذبين الذين لم يعاقبوا على كفرهم وعنادهم؛ لأن الله تعالى قدر لهلاكهم أجلا لن يتخلفوا عنه وهذه الآية لها

---

(١) التحرير والتنوير ٣٨/١٧ .

(٢) انظر السابق ٣٨/١٧.

(٣) انظر روح البيان ٣٥٩/٥.

(٤) تفسير السعدي٥٢١.

علاقة وارتباط بالآية السابقة لها وهي قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ ﴾ [الحجر: ٤] فالله تعالى في هاتين الآيتين يبين أن هؤلاء المكذبين لهم أجل مقدر اقتضته حكمة الله، فالعذاب واقع لا محالة، ولكن عندما يريده الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر، وما (ذلك إلا لأن اللّه سبحانه وتعالى لم يأذن بهلاكهم بعد، وذلك لما اقتضته حكمته.. فكل قرية لها عند اللّه أجل معلوم، كما أن لكل إنسان)[١].

وجملة { مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا } {وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ }: بيان لجملة {وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ } لبيان فائدة التحديد بعدم المجاوزة بدءا ونهاية [٢]. والعذاب قادم وإنما يقع فيه التقديم والتأخير (فالذين تقدموا كان وقت هلاكهم في الكتاب معجلا، والذين تأخروا كان وقت هلاكهم في الكتاب مؤخرا وذلك نهاية في الزجر والتحذير)[٣] والسبق يطلق على التقدم في السير[٤]، ولكن معناه يختلف باختلاف الحال والسياق. فإذا كان واقعا على شخص كان معناه أنه جاز وخلف كقولك سبق زيد عمرا، أي جازه وخلفه وراءه، ومعناه أنه قصر عنه وما بلغه، وإذا كان واقعا على زمان كان بالعكس في ذلك، كقولك: سبق فلان عام كذا معناه مضى قبل إتيانه ولم يبلغه[٥]. والسر في ذلك (أن الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه فما سبقه يتحقق قبل تحققه وأما الزماني فإنما يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم إلى المقصد)[٦].

---

(١) التفسير القراني٧/٢١٥.
(٢) انظر التحرير والتنوير١٣/١٣.
(٣) التفسير الكبير ١١٩/١٩.
(٤) انظر معجم مفردات القران ٢٥٠.
(٥) انظر اللباب١١/٢٤٩.
(٦) روح المعاني٧/٢٥٩.

والأجل هو الوقت المؤقت المضروب لانقضاء المهلة[١]، والهلاك قيل المراد به عذاب الاستئصال الذي كان اللّه ينزله بالمكذبين المعاندين كما في قوم نوح وقوم هود وغيرهم، وقيل: المراد بهذا الهلاك الموت: والأقرب الأول؛ لأنه في الزجر أبلغ[٢].

(وإيراده بعنوان الأجل باعتبار ما يقتضيه من السبق، كما أن إيراده بعنوان الكتاب باعتبار ما يوجبه من الإهلاك)[٣].

وجاء التعبير بصيغة الفعل المضارع في لفظتي (تسبق ويستأخرون) للدلالة على الاستمرار والتجدد (وإيثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الإهلاك بصيغة الماضي لأن المقصود بيان دوامهما فيما بين الأمم الماضية والباقية)[٤].

ومن خلال سياق هذه الآية والآية السابقة لها يبين سبحانه أن الأمم المهلكة السابقة كان لكل منهم وقت معين للهلاك، وهذه الآية بينت المبهم من الآية السابقة وهو أن كل أمة منهم ومن غيرهم لها أجل لا يمكن أن تسبقه ولا تتأخر عنه، وفي هذا تهديد لهؤلاء المكذبين أن إمهالهم له نهاية، وهذا هو مقصود الآية وغرضها.

**فعل الأمر:**

جاء الأمر في قوله استبقوا في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨ ﴾[البقرة: ١٤٨]. يقول السعدي في تفسير هذه الآية: (أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل)[٥].

---

(١) انظر التفسير الكبير ٥٦/١٤.
(٢) انظر السابق ٥٦/١٤.
(٣) روح المعاني ٢٥٩/٧.
(٤) السابق ٢٥٩/٧.
(٥) تفسير السعدي٧٢.

والوجهة وزنها فعلة من المواجهة. والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد، والمراد القبلة، أي إنهم لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم، ولكل وجهة إما بحق وإما بهوى[١].

وليس المراد بهذه الجملة إقرار أهل الكفر على كفرهم؛ وإنما المراد – والله أعلم – تسلية المؤمنين، وتثبيتهم على ما هم عليه من الحق؛ لأن لكل أحد وجهة ولَّاه الله إياها حسب ما تقتضيه حكمته[٢].

والله سبحانه سيحاسب الجميع حسب وجهته التي توجه إليها والسعيد من أسعده الله بطاعته وامتثال أمره لذلك قال سبحانه {فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ}. والاستباق افتعال والمراد به السبق[٣]، وهو أمر من الاستباق، والمراد به التسابق إلى الخيرات، وتعدّى بنفسه دون حرف الجر كأنه ضُمِّن معنى افعلوا على وجه المسابقة، وفائدة تضمين الفعل فعلاً آخر؛ لأجل أن يدل التضمين على المعنيين[٤].

وزيادة المبنى زيادة في المعنى ولذلك قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر)[٥].

وهذه الآية يستدل بها على الإتيان (بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة،

---

(١) انظر القرطبي٢/١٦٤.
(٢) انظر تفسير العثيمين ٤/١١٨.
(٣) انظر التحرير والتنوير٢/٤٣.
(٤) انظر العثيمين ٤/١١٨.
(٥) تفسير السعدي ٧٢.

والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية)[١].

و الأمر في استبقوا يقتضي الفورية؛ (لأن الاستباق إلى الخير لا يكون إلا بالمبادرة إلى فعله؛ فهذه الآية مما يستدل به على أن الأمر المطلق للفورية)[٢]. وآية: { أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا } (في معنى العلة للأمر باستباق الخيرات ولذلك فصلت)[٣].

فهذه الآية في معنى التعليل للأمر باستباق الخيرات لأن (ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب)[٤] فالله تعالى يجمع الناس يوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله من أحسن ومن أساء.

وقوله (أينما تكونوا) فيه تبشير وإنذار ؟ (فيه تبشير لمن استبقوا إلى الخير، وإنذار لمن اعتقدوا الباطل)[٥]. وهناك يفصل الله بين المحق والمبطل.

وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }: (هذه جملة خبرية مؤكدة بـ{إن}؛ عامة في كل شيء من موجود، أو معدوم؛ و«القدرة» صفة تقوم بالقادر بحيث يفعل الفعل بلا عجز)[٦]، وهو سبحانه قادر( على الإماتة والإحياء والجمعِ ، فهو تعليل للحكم السابق)[٧].

وآية{فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ } نلاحظ فيها البلاغة التامة (لأنه يشمل الاستباق إليها، والاستباق فيها؛ فليس معناه: إذا وصلت إلى الخير فإنك تقف؛ بل حتى في نفس فعلك

---

(١) السابق ٧٢.
(٢) تفسير العثيمين ١١٨/٤.
(٣) التحرير والتنوير ٤٣/٢.
(٤) تفسير السعدي ٧٢.
(٥) زهرة التفاسير ٤٥٧/١.
(٦) تفسير العثيمين ١١٨/٤.
(٧) تفسير أبي السعود ٢٢٤/١.

الخير كن مسابقاً؛ وهذا يشبهه قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦] ؛ فالمطلوب أن يصل الإنسان إلى الصراط، ويستمر فيه؛ ولهذا قال تعالى: { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ } [1] وليس بعد كلام الشيخ كلام.

وورد الأمر (استبقوا) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٤٨ ﴾ [المائدة: ٤٨] ومعنى هذه الآية الكريمة بصورة مختصرة، (وأنزلنا إليك –أيها الرسول– القرآن، وكل ما فيه حقّ يشهد على صدق الكتب قبله، وأنها من عند الله، مصدقًا لما فيها من صحة، ومبيِّنًا لما فيها من تحريف، ناسخًا لبعض شرائعها، فاحكم بين المحتكمين إليك من اليهود بما أنزل الله إليك في هذا القرآن، ولا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه، فقد جعلنا لكل أمة شريعة، وطريقة واضحة يعملون بها. ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة، ولكنه تعالى خالف بينها ليختبركم، فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين بالعمل بما في القرآن، فإن مصيركم إلى الله، فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويجزي كلا بعمله)[2].

فهذه الآية بينت أن الشرائع إنما وضعت للاستباق إلى الخير لتجازى كل نفس بما عملت {وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ }أي إذا كان الأمر كما ذكر فسارعوا إلى ما هو خير لكم في دينكم ودنياكم، وابتدروا الخيرات وصالح الأعمال، انتهازا للفرصة وإحرازا للفضل، فالسابقون

---

(١) تفسير العثيمين ٤/١١٨.

(٢) التفسير الميسر ٦/١١٦.

السابقون أولئك المقربون.[1].

وسترجعون إلى ربكم، وهناك يكون الجزاء الأوفى. وقد سبق في الآية السابقة بيان معنى (استبقوا) بصورة مفصلة مما يغني عن إعادته.

(١) انظر تفسير المراغي٦/١٣٢.

# المبحث الثاني: أثر السياق في اختيار صيغة الاسم

**التعبير بالجملة الاسمية:**

الاسم يدل على ذات أو معنى[1]فهي كلمة تدل بذاتها على شيء محسوس، – مثل: نحاس، بيت،...– أو شيء غير محسوس، يعرف بالعقل؛ "مثل: التي صدرها اسم مثل عمر قائم والجملة الاسمية لها دلالة بيانية فهي تفيد الدوام والثبوت وبيان ذلك يوضحه عبدالقاهر الجرجاني بقوله( وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء .....فإذا قلت: زيد منطلق. فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد، ويحدث منه شيئاً فشيئاً. بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل وعمرو قصير. فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: زيد منطلق. لأكثر من إثباته لزيد)[2].

فالانطلاق ثابت لا يتجدد، وكذلك الطول والقصر، لكن الأسماء تتفاوت في دلالتها على الثبوت، فزيد قائم تختلف عن زيد طويل، فالأول يمكن الانتقال منه إلى حالة أخرى بعكس الثاني فهو ثابت.

وفيما يلي بعض صيغ (سبق) التي وردت بصيغة الاسم ودلالة ذلك.

من صيغ الاسم (سابق) في قوله تعالى ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ [يس: ٤٠].

هذه الآية متصلة بالسياق السابق التي تتحدث في البرهنة على إمكان البعث ووقوعه وسوق الأدلة على قدرة الله على البعث .

---

(١) انظر بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو ٢٩.

(٢) دلائل الإعجاز ٥٠.

والآيات السابقة لهذه الآية هي قوله سبحانه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يس: ٣٧-٣٩] ومعنى الآية كما فسرها السلف قال البغوي. { لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ } أي: لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى: {وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ } أي: هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته)[1] وقد تكلم العلماء عن معنى هذه الآية بأقوال كثيرة ذكرها القرطبي ومن هذه الأقوال، قال بعضهم: معناها أن الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه. أي لكل واحد منهما سلطان على حياله، فلا يدخل أحدهما على الآخر فيذهب سلطانه، إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، فتطلع الشمس من مغربها. وقيل: إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء. وروي هذا المعنى عن ابن عباس والضحاك وقال مجاهد: أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر. وقال قتادة: لكل حد وعلم لا يعدوه وقال النحاس: وأحسن ما قيل في معناها وأبينه مما لا يدفع أن سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه في السير[2].

فقوله { لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ } أي لا يسهل على الشمس ولا يصح منها أن تدرك القمر فيذهب نوره، بل لكل سيره، فلا يلتقيان إلا نادراً في جزء معين من الأفق، فيحصل خسوف القمر، وكسوف الشمس[3].

وقوله { وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ } قال مجاهد يطلبان حثيثين، ينسلخ أحدهما من الآخر، والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثِيثًا[1].

---

(١) تفسير البغوي٧/١٨.

(٢) انظر القرطبي ١٥/٣٢-٣٣.

(٣) أيسر التفاسير٣/٣٥٧.

وهذا من الدلالة على قدرة الله تعالى العظيمة، أن خلق الشمس والقمر والكواكب المتعددة التي تزين السماء، وكذلك خلق الليل والنهار، هذا بظلامه، وهذا بضيائه، وشبه ذلك المسير وتلك الحركة بالسباحة في الماء والمقصود التنبيه على السرعة والسهولة وكمال الاتصال[٢]، وجعل الليل وراء النهار؛ لأن النهار أسبق من الليل[٣].

وكل لفظة في القران مختارة لتسهم في أداء المعنى المراد، وتحقيق الغرض المقصود، وبما يناسب الحال فالقمر أسرع من الشمس، فجاء التعبير بلفظ يدرك، والسبق مناسب للقمر لسرعته مقارنة بالشمس.

والسبق (مناسب لسرعة سير القمر؛ إذ السبق يشعر بالسرعة، والإدراك بالبطء؛ وكذلك الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة . والقمر يقطعه في شهر . فكانت الشمس لبطأها جديرة بأن توصف بالإدراك ، والقمر لسرعته جديراً بأن يوصف بالسبق)[٤]. وجاء لفظ التعبير باسم الفاعل سابق ؛ليفيد ثبوت الحالة والصفة، وأنه لا يمكن أن يسبق الليل النهار، أو تسبق الشمس القمر إلا بقدرة الله، عندما يتغير نظام الكون، ويجمع الشمس والقمر، وهي النهاية التي يحدده الله سبحانه وتعالى.

وورد لفظ (مسبوقين) بصيغة اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٠] هذه الآية جاءت في سياق إقامة الأدلة على البعث والنشور فهذه الآية مرتبطة بالسياق السابق وهي قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٧-٦١] (أي وكما خلقناكم ابتداء، من هذه النطف، وشكلنا صوركم، من هذا المنيّ نحن الذين قدرنا بينكم الموت،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٧٩/٦.

(٢) انظر البحر المحيط٥/٦٧.

(٣) انظر التفسير القرآني ٩٣٤/١٢.

(٤) تفسير القاسمي١٤/٧٤.

وحددنا لكل منكم الأجل الذي له في هذه الدنيا.. فإلينا وحدنا تقدير أعماركم، وموتكم.. لم يسبقنا إلى ذلك سابق، ولم يشاركنا في هذا شريك)[1].

وقوله {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} قال صاحب نظم الدرر (ولما كان حاصل الموت أنه تغيير الصورة التي كانت إلى غيرها، وكان من قدر على تحويل صورة إلى شيء قدر على تحويلها إلى شيء آخر مماثل لذلك الشيء قال: (وما نحن) أي على ما لنا من العظمة، وأكد النفي فقال: "بمسبوقين")[2].

و (الواو) عاطفة (ما) نافية عاملة عمل ليس (مسبوقين) مجرور لفظا منصوب محلّا خبر ما[3]. مسبوقين: جمع مسبوق، اسم مفعول من الثلاثّي سبق ووزنه مفعول[4].

والمسبوق هو الذي يسبقه غيره في أي أمر من الأمور سواء في سباق أو غيره وهذا المسبوق يكون مغلوبا ومقهورا ولا يستطيع اللحاق بمن سبقه ولكن الله سبحانه لا يعجزه ولا يغلبه أحد والمعنى. (إن أردنا أن نبدل أمثالكم لم يسبقنا أحد ، أي لم يغلبنا)[5] فالذي خلقهم أول مرة بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا، وقدر الموت عليهم ولا يستطيع أحد منهم الإفلات منه، فمن باب أولى لا يستطيع أحد أن يسبقنا ،ويمنعنا ويغلبنا عن تبديل أمثالكم وأشكالكم، وإنشائكم على حال غير حالتكم السابقة، فالتعبير باسم المفعول جاء لتأكيد هذه الصفة وتثبيتها للمولى سبحانه.

ووردت لفظة (سابقون) بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} في هذه الآيات ثناء من الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية الذين يسارعون في كل خير، ويسابقون غيرهم (في ميدان التسارع في

---

(١) التفسير القرآني ٧٢٧/١٤.
(٢) نظم الدرر ٤١٦/٧.
(٣) انظر الجدول ١٢٣/٢٧.
(٤) انظر السابق ١٢٤/٢٧.
(٥) انظر القرطبي ٢١٦/١٧.

أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه)[1] فهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١] فالآية تضمنت قوله {وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} أي: (إليها سابقون، ، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة)[2].

ووصف سبحانه هؤلاء بالهمة العالية: {أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ } فقد (أسند المسارعة إليهم إيماء إلى استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم، وإيثار كلمة في على كلمة إلى؛ للإيذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات، لا أنهم خارجون عنها، متوجهون إليها بطريق المسارعة)[3] (فأولئك يرغبون في الطَّاعاتِ والعباداتِ أشدَّ الرَّغبةِ وهم لأجلها فاعلون السَّبقَ)[4] وعلى هذا تكون (الجملة تأكيدا للتي قبلها مفيدة تجدد الفعل بقوله يُسارِعُونَ وثبوته بقوله سابِقُونَ)[5].

فهؤلاء يتنافسون في أعمال الخير، والتعبير بالسبق له دلالته (فالسبق تمثيل للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحال السابق إلى الغاية)[6]، وأن هؤلاء محرزون لما حرصوا عليه، (فالسبق مجاز لإحراز المطلوب؛ لأن الإحراز من لوازم

---

(١) تفسير السعدي٥٥٤.

(٢) تفسير البغوي٥/٤٢٢.

(٣) روح المعاني ٩/٢٤٥.

(٤) تفسير أبي السعود٥/٧.

(٥) البحر المحيط ٧/٥٧٠.

(٦) التحرير والتنوير١٨/٦٤.

السبق)[1] ولذلك قال السعدي(.ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين)[2].

وأولئك تباروا مع غيرهم من الذين يسارعون في الخيرات فسبقوهم، ومع هذا، فقد سبقت لهم من الله السعادة، أنهم سابقون كما روي ذلك عن ابن عباس ولذلك هم يسابقون غيرهم في الخيرات، فالدائرة التي يتسابق فيها الجميع هي المسارعة في الخيرات، وهؤلاء سبقوهم (وكل من تقدم في شي فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته)[3] لأن الجميع يتسابقون في الطاعات ويسارعون لنيل أعلى الدرجات، وهذه الآية بشرى وثناء لهؤلاء (وفي هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات ، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم)[4].

ووردت لفظة (السابقون) في قوله تعالى﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] وهؤلاء (وهم الذين سبقوا غيرهم إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد ، والذين اتبعوهم في ذلك وأحسنوا أعمالهم، فكانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ الجميع رضي الله عنهم بإيمانهم وصالح أعمالهم، ورضوا عنه بما أنالهم من إنعام وتكريم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً )[5] والآيات السابقة لهذه الآيات تتحدث عن الكفار والمنافقين، وهذه الآية تتحدث عن المؤمنين وتبين التمايز بينهم وهنا سؤال ما المقصود بالسبق هنا؟ (والمقصود بالسبق السبق في الإيمان ؛ ، فالسابقون من المهاجرين هم الذين سبقوا بالإيمان قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، والسابقون من الأنصار

---

(١) السابق١٨/٦٤.

(٢) تفسير السعدي ٥٥٤.

(٣) القرطبي١٢/١٣٣.

(٤) أيسر التفاسير ٣/٢٣.

(٥) أيسر التفاسير ٢/١٠٢.

هـم الـذين سـبقوا قـومهم بالإيمـان، وهـم أهـل العقبتـين الأولـى والثانيـة)[1] والتعبيـر ب(السابقون الأولون) يدل على : (قديم دخولهم فيه فقال : ( الأولون) أي إلى هذا الدين القيم وكانوا متفاوتين فمنهم السابق، وأكثرهم التابع اللاحق ، أتبعه السابقين على وجه شامل)[2].

و(السابقون)، جمع السابق، اسم فاعل من الثلاثيّ، سبق وزنه فاعل[3].

وقيد هذا الفريق والذين اتبعوهم بإحسان (لأن السابقين الأولين ما بعثهم على الإيمان إلا الإخلاص، فهم محسنون، وأما الذين اتبعوهم فمن بينهم من آمن اعتزازا بالمسلمين حين صاروا أكثر أهل المدينة، فمنهم من آمن وفي إيمانه ضعف وتردد، مثل المؤلفة قلوبهم، فربما نزل بهم إلى النفاق، وربما ارتقى بهم إلى الإيمان الكامل)[4]، فسبحان الله كل تعبير في هذا الكتاب العظيم في سياقه وله دلالته.

وأولئك هم الذين حملوا أعباء الدعوة الإسلامية، واحتملوها في صبر ورضا . فكان لهم عند اللّه هذا المكان الكريم، وتلك المنزلة التي اختصهم بها.

وهذا التعبير يشمل جميع الأتباع إلى يوم القيامة، وهذا الآية مدح وثناء لهم، فهؤلاء لهم الريادة في السبق، ولهم هذه المكانة وهذا التميز، ولذلك استحقوا هذا الجزاء، فلهم السبق وكل سابق إنما هو بعدهم، لذا جاء التعبير بالجملة الاسمية التي تدل أن هذه السمة ثابتة لهم، وكل من اتبعهم له هذه المنزلة العظيمة وهو رضا الله عنهم، وهذه النعمة فضل من الله سبحانه يختص بها من يشاء من عباده.

---

(١) التحرير والتنوير ١٠/١٩١.

(٢) نظم الدرر ٣/٣٧٩.

(٣) انظر الجدول ١١/٢٣.

(٤) ابن كثير ٦/٥٤٦.

ومن التعبير بالاسم (سابق) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ [فاطر: ٣٢].

جاء في البغوي (عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: { ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ } الآية، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له")[١]. والتعبير بالفعل الماضي اصطفينا) يدل على تحققه ووقوعه.

فكلهم اصطفاهم اللّه تعالى، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم قسمهم سبحانه إلى ثلاثة أقسام فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات والظالم لنفسه: (المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات)[٢].

والمقتصد: (المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات)[٣]. {وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ } وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات) أما السابق بالخيرات فهو الذي (سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكثر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه)[٤].

والتقييد (بإذن الله) (راجع إلى السابق إلى الخيرات، لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق اللّه تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر اللّه

---

(١) تفسير البغوي٦/٤٢١.
(٢) ابن كثير٦/٥٤٦.
(٣) السابق٦/٥٤٦.
(٤)السابق٦/٥٤٦.

تعالى على ما أنعم)[1] (وتنبيه على عزَّةِ منالِ هذه الرُّتبةِ وصعوبةِ مأخذِه)[2].

والتعبير بالسبق له دلالته ولا يقصد بالسبق هنا التقدم في السير وإنما له معنى آخر يفهم من خلال السياق، فهو( يستعار لإحراز الفضل فالمعنى متقدم إلى ثواب الله وجنته ورحمته (بِالْخَيْرَاتِ) بالأعمال الصالحة بضم التعليم والإرشاد إلى العلم والعمل، والخير ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع وضده الشر).[3]

وهذا هُوَ الفضل الكبير من الله عزَّ وجلَّ، لا يُنال إلا بتوفيقِه تعالى وتيسيره. والتعبير باسم الفاعل (سابق بالخيرات) يدل على ثبوت هذه الصفة لهم، فنفوسهم متعلقة بفعل الخيرات، فهم يسابقون إلى كل خير سمعوه، ويبادرون إلى فعله، فالحياة عندهم ميدان سباق في الخيرات.

ووردت لفظة (السابقون) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠-١١] ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أقسام كما جاء في الآية الكريمة ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة: ٨-١٠] والله سبحانه وتعالى (ذكرهم الله تعالى غير مرتبين في الفضل، فبدأ الله بأصحاب الميمنة ثم ثنَّى بأصحاب الشمال، ثم ثلَّث بالسابقين، لكن عند التفصيل بدأ بهم مرتبين على حسب الفضل فبدأ بالسابقين، ثم بأصحاب اليمين، ثم بأصحاب الشمال، وهذا التفصيل المرتب خلاف الترتيب المجمل، وهو من أساليب البلاغة)[4] وهؤلاء السابقون في مقام رفيع ،ومتميزون عن غيرهم ،وهؤلاء أسبق الأصناف وأقدمهم في الفضل، وتأخر ذكرهم (ليردف ذكرهم ببيان

---

(١) تفسير السعدي١/٦٨٩.

(٢) تفسير أبي السعود ٥/٣٩٧.

(٣) روح البيان٧/٢٧٢.

(٤) تفسير العثيمين ١٤/٣.

محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقا معرض عن إحرازهم قصب السبق من جميع الوجوه)[١].

وجوزوا أن يكون مبتدأ وخبرا وهذا كما تقول : الناس الناس، وأنت أنت، وهذا على تفخيم الأمر وتعظيمه[٢].

والمعنى (والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم، وعرفت محاسنهم، وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم بالوصف بالجميل ما لا يخفى)[٣]

فهؤلاء سابقون غيرهم في الخيرات؛ لذلك كان الجزاء السبق لدخول الجنات. قال السعدي (أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها)[٤].

يعني أن السابقين إلى الأعمال الصالحة هم السابقون إلى الثواب في الآخرة، (فكأنه قال: السابقون في الدنيا بالأعمال الصالحة هم السابقون في الآخرة بالثواب)[٥].

والتعبير بالجملة الاسمية يدل على ثبات هذه الصفة لهم، لذلك اختصهم سبحانه بالقرب منه، وهذه أعلى منزلة فقال(أولئك المقربون) ولفظ الإشارة يدل على علو مكانتهم،وبعد منزلتهم، وتميزهم من غيرهم من الذين ساروا في طريق الخيرات.

( ولذلك ذكر منزلتهم قبل ذكر منزلهم، وكما يقال: الجار قبل الدار، وكما قالت امرأة فرعون: {رب ابن لى عندك} بدأت بالجوار {بيتاً في الجنة} وهنا قال: {أولئك المقربون} قبل أن يبدأ بذكر الثواب؛ لأن قربهم من الله – عز وجل – فوق كل شيء)[٦]ولاشك أن هؤلاء استحقوا هذه الحظوة والرفعة؛ لأنهم سبقوا غيرهم في فعل

---

(١) روح المعاني١٤/١٣٢.
(٢) انظر البحر المحيط ١٠/٨٠.
(٣) الفتوحات الإلهية ٧/ ٣٧٩.
(٤) تفسير السعدي ٨٣٢.
(٥) تفسير العثيمين ١٤/٣.
(٦) السابق ١٤/٣.

الخيرات في الدنيا ،فكان الجزاء أن يكونوا من السابقين في الآخرة في جنات النعيم ، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ،وهي مدح وثناء لهم و دعوة إلى الاقتداء بهم ،والسير على منهجهم. نسأل الله الكريم من فضله.

# المبحث الثالث

# أثر السياق في الموازنة بين متشابه النظم في مادة سبق

علوم القرآن علوم متعددة، ومن هذه العلوم علم المتشابه، وعلماء اللغة يطلقون المتشابه على ما تماثل من الأشياء، وأشبه بعضها بعضاً، وعلى ما يلتبس من الأمور.

جاء في لسان العرب أشبه الشيء مثله وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم، وأشبهت فلانا وشابهته، واشتبه علي، وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد صاحبه، والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات [١].

يقول ابن فارس ((شبه) الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابُه الشّيء وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَهُ من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب. والمُشَبِّهَات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ، إذا أَشْكَلاَ).[٢] ونفهم من خلال المعنى اللغوي لمادة شبه أنه يدل على الأمور المتماثلة والمتشابهة، وعلى الأمور المشكلة.

والمتشابه الذي نقصده هنا وهو مدار البحث (المتشابه اللفظي) وليس هناك تعريف محدد للمتشابه اللفظي، ولكن يمكن من خلال أقوال المختصين والمؤلفين في هذا المجال، أن نقول: إن الآيات المتشابهات يقصد بها التي وردت بألفاظ متفقة ،أو متقاربة، ولكن وقع في بعضها زيادة في موضع ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو جمع وإفراد، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة مكان أخرى.[٣]

وهناك آيات في القرآن تكررت سواء في القصص، أو في موضوعات مختلفة وفي صور شتى.

---

(١) انظر لسان العرب مادة شبه ٥٠٣/١٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة٢٤٣/٣.

(٣) انظر من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ١١.

يقول الزركشي عن المتشابه (وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك)[1].

والمتشابه في القرآن الكريم سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم وقد انبرى علماء أجلاء للبحث في أسرار هذا التشابه، وألفت عدة مؤلفات في هذا الفن، ولعل أشهرها كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي.

وكتاب الكرماني "البرهان في متشابه القرآن. وكتاب "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لابن الزبير الغرناطي.وغيرها من الكتب.

وبعض المفسرين كما ذكرنا سابقاً اعتمدوا في توجيه المتشابه إلى عدة أمور، ويأتي في مقدمتها النظر إلى السياق عند توجيه المتشابه، يقول الزركشي" وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق) [2].

فمثلا آية ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ [طه: ١٢٩] تكررت في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى في سورة هود وفي سورة يونس وفي سورة طه وفي سورة الأنبياء وفي سورة فصلت وفي سورة الصافات وفي سورة الشورى وجاءت هذه الآية متكررة في أساليب متنوعة تناسب سياقها الذي وردت فيه .وفي السطور الآتية نماذج لذلك.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يونس: ١٩].

الآيات السابقة لهذه الآية بينت ضلال المشركين في عبادة الأصنام، وهذه الآية ذكرت وبينت ما كان عليه الناس من الوحدة في الدين، وما صاروا إليه من الاختلاف.

---

(١) البرهان ١٧٢/٢.

(٢) البرهان ١٧٢/٢.

ومعنى سبقت في هذا السياق نفدت وتقدمت[١].

و «ما» اسم موصول؛ واسم الموصول من ألفاظ العموم؛ فيشمل كل ما اختلف فيه الناس من الدقيق والجليل، في مسائل الدين والدنيا[٢].

والأمة تفسر في كل مقام بما تدل عليه إضافتها.

واختلف في معنى الكلمة التي سبقت.فقيل: هي إمهال هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب في الدنيا، وقيل إن معناها، مضت في حكمه أنه: لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة،[٣] وقيل: الكلمة السابقة أنه لا يأخذ أحدا إلا بحجة وهو إرسال الرسل ؛ وقيل : الكلمة قوله : (سبقت رحمتي غضبي) ولولا ذلك لما أخر العصاة إلى التوبة.[٤] وهذه المعاني التي ذكرت لمعنى( سبقت) تصب في سياق واحد وهو الإمهال للمكذبين وعدم تعجيل العذاب في الدنيا، وإعطائهم الفرصة الممتدة إلى نهاية الحياة الدنيا، وجعل الجزاء في الآخرة، ولولا ذلك لحقت كلمة الله على المبطلين. ولاشك أن التوحيد يجمع الأمة والشرك يفرقها (والشر والشرك هما اللذان يحدثان الخلاف في الأمة والتفرق فيها، أما التوحيد والخير فلا يترتب عليهما خلاف، ولا حرب ولا فرقة)[٥]. ولا شك أن إضافة الرب إلى ضمير الخطاب (ربك) فيه تأكيد للنبي ﷺ وتثبيت له وإعزاز له في مواجهة أعداء الدعوة.

و الناس جميعا كانوا أمة واحدة على فطرة الإسلام والتوحيد ثم اختلفوا في الأديان، وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».[٦] وهذه الآية مناسبة لسياقها فهي (متصلة

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القران ص٢٥٠.
(٢) انظر تفسير العثيمين ٢٢/٥.
( ٣) انظر تفسير البغوي١٢٧/٤.
(٤) انظر تفسير القرطبي٣٢٣/٨.
(٥) أيسر التفاسير١٢٤/٢.
(٦) تفسير المراغي ٨٣/١١.

بالسياق السابق اتصال تعقيب واستطراد ورد. وواو العطف الذي بدأت به مما يؤيد ذلك فضلا عن مضمونها وصلته بموقف الكفار المحكي في الآيات السابقة لها)[1].

وهكذا بينت الآية الكريمة أن تأخير القضاءِ والفصل بينهم اقتضته الحكمة الإلهية بتأخير العذابِ الفاصل بينهم إلى يوم القيامة، فإنه يومُ الفصل سيكون ميقاتهم أجمعين، وسيتبين المحق من المبطل، وفي الآية (تسلية للنبي صلى اللّه عليه وسلم عن موقف الكفار الجحودي)[2]. فالله قادر على إهلاكهم لولا أن حكمته قضت بتأخير العذاب إلى أجل مسمى.

والمتأمل في القرآن والمتدبر لآياته يجد أن كل كلمة في موقعها الذي يناسب سياقها، فالقرآن يُفَسَّر بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان، فإنه يفصل في مكان آخر يناسب سياقه، ولذلك فإن تشابه بعض الآيات وتكرار بعض الألفاظ يناسب سياقها الذي وردت فيه فقد تكون الكلمة مجملة هنا، ومفسرة في موضع آخر.

وهذه الكلمة التي سبقت في الآية التي نحن بصددها مجملة في هذه الآية، والقرآن يفسر بعضه بعضا فما أجمل هنا، يفصل هناك.

وهذه الآية بينت في آية أخرى في سورة الشورى في قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.
وكل تركيب يناسب السياق الذي ورد فيه سواء سياق المقال أو سياق المقام والحال فالآيات تتحدث عن الحكمة الإلهية في تأخير العذاب، ولذلك قال ابن عاشور:

(وهذه الكلمة أجملت هنا وأشير إليها في سورة الشورى، والأجل: هو أجل بقاء الأمم، وذلك عند انقراض العالم، فالقضاء بينهم إذن مؤخر إلى يوم الحساب)[3]. فهو

---

(١) التفسير الحديث ٣/٤٥٧.
(٢) التفسير الحديث٣/٤٥٦.
(٣) التحرير والتنوير ٣/٣٤٩.

سبحانه لا يعجل العذاب لمن كذب وعصى، وإنما يؤخرهم ويفصل بينهم في دار الجزاء ممن أحسن، وممن أساء.

وكل آية تناسب سياقها الذي وردت فيه، فلما لم يذكر في الآيات السابقة لهذه الآية الأجل المسمى لم يتم الإحالة عليه.أما إذا ذكرت الغاية والأجل فإنه يتم الإحالة عليه وهذا ما نراه في آية سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: ١٤]، لما تقدم قبلها ذكر تلك الغاية والأجل في قوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] فهذا هو الوقت الموعود والأجل المسمى فلما تقدم ذكره وقعت الإحالة عليه(١).

ووردت لفظة (سبقت) في سورة طه في قوله تعالى:{وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى } هذه الآية جاءت لبيان عدم إهلاك قوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما فعل بالأقوام السابقين قبل قريش، حيث نزل بهم عذاب الاستئصال، ولولا حرف امتناع لوجود، فيه معنى الشرط و(اللام) رابطة لجواب لولا(٢).

وقدّم جواب لو لا على بقية الشرط، للاهتمام به، والإلفات إليه(٣).

ومعنى (سبقت) نفدت وتقدمت(٤).

والتعبير بالفعل الماضي (سبقت) دلالة على التحقق والوقوع وهذا ما كان.

---

(١) انظر ملاك التأويل ١٠٠٦.

(٢) انظر الجدول ٤٤١/١٦.

(٣) انظر التفسير القرآني٨٣٩/٨.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القران ٢٥٠.

فالكلمة التي سبقت المراد بها هنا (ما علمه الله من تأجيل حلول العذاب بهم، فالله تعالى بحكمته أنظر قريشا فلم يعجل لهم العذاب؛ لأنه أراد أن ينشر الإسلام بمن يؤمن منهم وبذرياتهم. وفي ذلك كرامة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بتيسير أسباب بقاء شرعه وانتشاره؛ لأنه الشريعة الخاتمة)[١] والسياق يبين أن تكرار هذه الكلمة في هذا المقام جاء لغرض وهو بقاء الدين وانتشاره ولولا ذلك لكان إهلاكهم لازما .

وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على الإهلاك ولزاما خبرها[٢] يرجع إلى الآيات المتقدمة عن إهلاك قوم آخرين، وفي الآية تقديم وتأخير، ولذلك قال الفراء (في الآية تقديم وتأخير، والمعنى : ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما أي لكان العذاب لازما لهم ، وإنما أخره لتعتدل رءوس الآي)[٣] والعذاب ملازم للمكذبين كما كان بالنسبة للأمم السابقة، فإنها إذا (كفرت بنبيها أنزل الله بها عقابه للزوم المسبب للسبب)[٤]. ولقد أخّر الله العذاب المستحق لهؤلاء، (والسبب في تأخير العذاب عنهم هو صدور وعد سابق من الله سبحانه بتأخير عذاب أمة النبي ﷺ إلى الدار الآخرة، ولولا هذا التأخير النافذ، لكان عقاب ذنوبهم لازما لهم، لا يفارقهم بحال)[٥]. فهذه الآية جاءت للرد على هؤلاء المكذبين الذين يقولون لماذا لم نستأصل كما حصل للسابقين قبلنا، وبينت أن التأخير له أسبابه، وبينت الحكمة في ذلك؛ ليكون من ذريتهم من يعبدون الله تعالى. وجاءت متناسبة في نظمها مع سياقها وموقعها، فالفاصلة والتجانس والجرس والتقديم والتأخير جاء متناسبا مع فاصلة السورة المبنية على الألف المقصورة.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٦.

(٢) إعراب القران وبيانه ٢٦٧/٦.

(٣) صفوة التفاسير ١٩٣/٢.

(٤) زهرة التفاسير ٤٨٠١/١.

(٥) التفسير الوسيط ١٥٦٠/٢.

وهكذا يتبين لنا أن السياق له دوره البارز في كشف المتشابه وسر التكرار، وسياقات الكلام تختلف باختلاف المقامات؛ وهذه الآية {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ } جاءت متكررة في أساليب متنوعة لكن السياق يختلف لغرض يراد إقراره.فالغرض البلاغي العام بيان سعة رحمة الله تعالى للمفرطين والمذنبين ، وأن الله لا يؤاخذ العباد على ظلمهم وعصيانهم، فهي كلمة الفصل كما جاء في آية أخرى ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ ومن هنا كانت الرحمة بالخلق وإمهالهم، وعدم مؤاخذتهم فيما اقترفوه، وتأخير ذلك إلى يوم القيامة؛ لأن العلة هو إسعاد الخلق وليس معاقبتهم .وتبقى كل آية تناسب سياقها الذي وردت فيه سواء سياق المقال أو الحال.

ووردت لفظة (سبق) في سياق قصة نوح، – ويمكن أن تدرج في سياق المتشابه–. في سورة (هود) وسورة (المؤمنون) مع اختلاف في بعض الصيغ ليتناسب مع السياق في السوريتين.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠].

السياق في الحديث عن نوح عليه السلام وقومه قال تعالى: { حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ } ومعنى الآية أي وأصل صنع السفينة، حتى إذا جاء أمرنا بإهلاك المشركين، وفار التنور فخرج الماء من داخله. وفوران التنور علامة لبداية الطوفان وهي علامة لنوح على هذا الأمر العظيم، وعندما يحصل هذا، (احمل) في السفينة التي صنعت (من كل زوجين).

والمعنى أي احمل فيها أزواج من جميع الأنواع من كل شيء ومن كل زوج زوجين، وقرأ الجمهور {مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ } بإضافة {كُلٍّ } إلى {زَوْجَيْنِ }. وانتصاب «اثنين» على أنهما صفة لزوجين، وقد علم أن الزوجين اثنان، ولكنه من باب التوكيد.

وأهلك أي واحمل أهلك من زوجة وولد إلا من سبق عليه القول أي بالإهلاك كامرأته وولده. (ومن آمن) أي واحمل من آمن من سائر الناس[1].

فقوله:{مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ } أي من مضى قول الله عليه، أي وعيده. فالتعريف في {الْقَوْلُ} للعهد، يعني إلا من كان من أهلك كافرا ، وعدي {سَبَقَ} بحرف {عَلَى} لتضمين {سَبَقَ} معنى: حكم[2].

قال الضحاك: وهم امرأته وابنه كنعان[3]. يعني : مَنْ كان في علم الله أنه يغرق بكفره[4]. فهؤلاء سبق عليه القول من الله بالهلاك.

وجيء بـ(على)؛ لكون السابق ضاراً لهم كما جيء بـ(اللام) فيما هو نافع لهم[5].

وهكذا بينت الآية الكريمة نجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين، وجاء التَّعبيرُ عنه بالفعل الماضِي (سبق) لتقرر هلاكهم وتحققه، وهو وعد من الله واقع لا محالة.

وفي آية أخرى (في سورة المؤمنون) وردت الآية مع اختلاف في بعض الألفاظ يتناسب مع سياقها في قوله تعالى: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وهناك لمسات بيانية أخرى أشار إليها أحد الباحثين مفرقا بين لفظي (اسلك) و(احمل) في الآيتين وأي اللفظين أسبق في قصة نوح وأن كل لفظة جاءت في موقعها متناسبة مع سياقها ولوجاهة ما ذكر رأيت من المناسب إيراده في هذا المقام يقول د.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣/٣٤٣، التحرير والتنوير ١١/٢٥٩، أيسر التفاسير ٢/١٧٠.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١١/٢٦٠.

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير ٣/٣٤٤.

(٤) انظر الوجيز للواحدي ١/٣٤٠.

(٥) روح البيان ٤/٧٨.

فاضل السمرائي: لما نسمع (أُسلُك) يجب أن نفهم أن الأمر لم يصدر بعد ولما نسمع (احمل) يكون الأمر قد صدر.

وقال تعالى في آية هود {احمل} وفي سورة المؤمنون {فاسلك} فما المقصود بالسلوك؟ سلك هو النفاذ في الطريق كما قال تعالى ﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ سورة النحل وقد يأتي فيها معنى الدخول ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴾ أما الحمل فيكون بعد السلوك أولاً يدخل السفينة ثم يحمل بعد دخوله. في سورة هود ذكر ما دلّ على الحمل لأن الحمل جاري في السفينة (حمل السفينة للأشخاص) وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وهي تجري بهم بمعنى تحملهم {يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ } [هود: ٤٨] إذن سورة هود فيها حمل. بينما في سورة المؤمنون لم يذكر الحمل أو صورة الحمل ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾ [المؤمنون: ٢٩] والقول {من سبق عليه القول} أعمّ من القول {من سبق عليه القول منهم} فسورة هود مبنية على العموم وليس على الخصوص {إلا من سبق عليه القول ومن آمن} فلم يذكر تعالى من آمن أي هي أعمّ[1].

وبهذا يتبين أن اللفظة القرآنية مختارة بدقة؛ لتؤدي دورها فهي مختارة في صيغتها، وقد اصطفيت من ألفاظ متعددة متناسبة مع السياق التي وردت فيه ،وقد يظن أنها مكررة لكن المتأمل يرى أن ورود نفس الآية في مكان آخر مع اختلاف في بعض الألفاظ كفيل بكشف تلك الدلالة الخاصة التي بينتها تلك اللفظة وسر ورودها من خلال سياقها.

ففهم الصِّيغة من خلال سياقها يُعدُّ من أهم القرائن اللَّفظيَّة التي تُعين على فهم المعنى المراد، وقد ندرك السر وقد لا ندرك.

---

(١) انظر موقع روائع البيان القرآني.

يقول الخطيب الإسكافيُّ: "إذا أورد الحكيم – تقدَّست أسماؤه – آية على لفظة مخصوصة، ثمَّ أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر لفظة عمَّا كانت عليه في الأولى فلابد من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنَّه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[1].

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ١/٢٥٠.

# المبحث الرابع
# أثر السياق في اصطفاء لفظ سبق مع ما قاربه من ألفاظ

هناك ألفاظ متقاربة في معانيها يظن بعض الناس أنها بمعنى واحد، وكل هذا يعود إلى الجهل باللغة العربية وأسرارها، وقد تنبه علماء اللغة لذلك وأفردوا كتبا خاصة له. ومن العلماء الذين كانت لهم جهود في بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة ابن قتيبة في كتابة (أدب الكاتب) وهو من أوائل الكتب في هذا الشأن، فقد أفرد بابا خاصا سماه (باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه) فقد أبان عن مجموعة من الألفاظ يستعملها بعض الناس بمعنى واحد، ومن ذلك قوله (الظلُّ والْفَيءُ) يذهب الناس إلى أنهما شيء وَاحد وليس كذلك؛ لأن الظل يكون غُدْوَةً وعَشِيّةً، ومن أول النهار إلى آخره، ومعنى الظل السِّتْر، ومنه قول الناس (أَنَا فِي ظِلِّكَ) أي : في ذَرَاكَ وسِتْرِك ومنه (ظل الجنة وظل شجرها) إنما هو سترُها وَنواحيها وظلُّ الليل : سواده لأنه يستر كل شيء)[1] وذكر كذلك بعض الألفاظ مثل الحمد والشكر وغيرها.

ولفظة القرآن لا يمكن أن يستبدل بها لفظة مقاربة لها، فهي دقيقة في موضعها، متلاحمة في مكانها من الجملة (لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها أو تنبو عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها)[2].

ومن الألفاظ المتقاربة في معانيها في بحثنا لفظ (سابق) و(سارع) و(نافس) وقد وردت آيات قرآنية في ذلك. ولاشك أن هناك أسرارا لإيثار لفظ على آخر تستلهم من خلال السياق وهذا ما أحاول كشفه من خلال الألفاظ المتقاربة، وبيان سر هذا التنوع في الألفاظ.

---

(١) أدب الكاتب ٢٣/١.

(٢) من بلاغة القرآن ١٠٥.

قال الله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]. وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ [الحديد ٢١].

وقال تعالى في سورة المطففين {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}.

والمتأمل في الآيتين الأوليين يجد تقارباً في المعنى.

ففي الآية الأولى أمر بالمسابقة إلى المغفرة والجنة التي أعدت للمتقين. وفي الآية الثانية أمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنات التي أعدت للذين آمنوا بالله ورسله.

والملاحظ أن هناك اختلافا في الصيغة بين الآيتين ففي الأولى جاء لفظ (سارعوا) وفي الثانية لفظ (سابقوا). والمتأمل في اللفظين يجد أن كلا منها جاء في مكانه. وكان للسياق دوره في اختيار هذه اللفظة دون غيرها في الآية وهذا هو السر في اختلاف التعبير بين الآيتين في كلماتها وحروفها وصياغتها.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما الفرق بين سارعوا وسابقوا.

ومعاجم اللغة تسعفنا في تجلية الفرق بين اللفظتين .

معنى سابق جاراه وباراه وغالبة في السباق، وسابق إلى الشيء أسرع إليه.[1] ومعنى سارع أي جد في الأمر وقام إليه مسرعا وبادر[2].

(والمراد في الموضعين الحث على المبادرة إلى أفعال البر وجزيل الثواب للممتثل) [1].

---

(١) انظر معجم اللغة العربية المعاصرة١٠٢٨/٢.

(٢) المعجم الرائد ٤٢٥/٣.

والمسارعة متقدمة على المسابقة في الرتبة، والمسارع إلى الشيء قد يحصل له مطلوبة وقد لا يحصل [٢]

لكنى المعنى في الآيتين مختلف بين لفظتي المسابقة والمسارعة.

فالآية الأولى جاءت بلفظ (سارعوا) والمعنى (بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي تُوجب المغفرة)[٣].

وعلى هذا فإن المسارعة هي المبادرة ؛لذلك قال القرطبي (والمسارعة المبادرة، وهي مفاعلة. وفي الآية حذف أي: سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة)[٤]، وقدمت المغفرة على الجنة (لما أن التخليةَ متقدِّمةٌ على التحلية)[٥] (ولأنها السبب الموصل إلى الجنة)[٦].

و جاء تنكير مغفرة، لقصد الدلالة على التعظيم (ووجهه أن اللّه تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير، والمراد منه المغفرة العظيمة، وذلك لا يحصل إلّا بسبب الإسلام؛ لأنه يجب ما قبله)[٧] ويقول الرازي (لأنه ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وذلك هو المغفرة الحاصلة بسبب الإسلام)[٨].

---

(١) ملاك التأويل ٣١٦/١.
(٢) انظر السابق ٣١٦/١.
(٣) البغوي ١٠٣/٢.
(٤) القرطبي ٢٠٣/٤.
(٥) تفسير أبي السعود ٤٤٥/١.
(٦) البحر المحيط ٣٤٥/٣.
(٧) تفسير الخازن ٢٩٦/١.
(٨) تفسير الرازي ٥/٩.

ونبه بالعرض على الطول؛ (لأن الغالب أن الطول يكون أكثر من العرض) [1] وهل المقصود التحديد أو الدلالة على الاتساع؟ اختلف العلماء في ذلك. وفي العرض وجهان:

الأول: أنه على حقيقته. وتخصيصه بالذكر تنبيها على اتساع طولها، فإن العرض في العادة أدنى من الطول.

والثاني: أنه مجاز عن السعة والبسطة. قال القفال: ليس المراد بالعرض هاهنا ما هو خلاف الطول، بل هو عبارة عن السعة ، كما تقول العرب : بلاد عريضة ، ويقال : هذه دعوى عريضة أي: واسعة ، فجعل العرض كناية عن السعة.

وقال الزمخشري: المراد وصفها بالسعة والبسطة. فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه تعالى وأبسطه. والله أعلم[2].

ووصفت الجنة بأن عرضها السماوات والأرض (على طريقة التشبيه البليغ)[3] وهنا سؤال يطرح نفسه ما الفرق بين السرعة وبين العجلة؟ (قلنا: السرعة مخصوصة بأن يقدم ما ينبغي تقديمه... والعجلة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه ، فالمسارعة مخصوصة بفرط الرغبة فيما يتعلق بالدين، لأن من رغب في الأمر، آثر الفور على التراخي.... والعجلة ليست مذمومة على الإطلاق بدليل قوله تعالى : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه : ٨٤])[4].

ولاشك أن هؤلاء قد قطعوا مرحلة طويلة من السباق في الخيرات، فطلب منهم الإسراع؛ لأنهم أصلا مستقرون في الخير ومستمرون فيه؛ لأن الجنة أعدها الله

---

(١) فتح القدير ٢/٢٤.

(٢) انظر تفسير القاسمي ٢/٢٢٩.

(٣) التحرير والتنوير ٣/٢٢٠.

(٤) التفسير الكبير ٨/٣٣٤ بتصرف.

للمتقين؛ لأنهم المستحقون لها بسبب ما قدموه من أعمال (فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها)[1].

أما الآية الثانية وهي قوله(سابقوا) في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١]، وهذه الآية جاءت متناسبة مع سياقها فبعد أن بينت الآيات السابقة لهذه الآية حقيقة الدنيا، وأنها لعب ولهو وزينة وتفاخر، وتكاثر في الأموال والأولاد، وأنها شبيهة بالزرع الذي يبدو ناضرا جميلا يعجب الناظرين، ثم بعد ذلك يذبل ويكون هشيما ويصير حطاما كأن لم يكن، وبعد أن بين حقارة الدنيا وأتبعه بما أعده للعاصين وللمطيعين كان من المناسب أن يندب عباده إلى المسابقة في الأعمال الصالحة التي توجب المغفرة ،وتكون سببا بعد رحمة الله في دخول الجنة فقال (سابقوا) فهذا أمر من الله (بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع)[2] ولاشك أن المراد المسابقة للأعمال التي توجب المغفرة والمسارعة في ذلك؛ لأن المسابقة تتضمن المسارعة كما يقول الرازي أي (سارِعُوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار)[3].

وقوله {عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ}، وفي سورة آل عمران قال سبحانه: { عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ } فهل هناك منافاة بين الآيتين؟ أجاب عن ذلك الشيخ محمد

---

(١) تفسير السعدي ١٤٨/١.

(٢)السابق٨٤١.

(٣) التفسير الكبير ٤٦٥/٢٩.

العثيمين بقوله (ولا منافاة لأن الأول: عرضها كعرض السماء تشبيه. والثاني: عرضها السماوات والأرض أيضاً تشبيه، لكن يسميه أهل البلاغة تشبيه بليغ )[1].

ثم بين سبحانه المستحق لهذه الجنة بقوله {أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ } (فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لأنه ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن باللّه ورسله، ولم يذكر مع الإيمان شيئا آخر يدل عليه)[2] لكن الشيخ السعدي يرى أن الأعمال تدخل في الإيمان فقال(ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة لذلك، فقال: {أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ } والإيمان بالله ورسله يدخل فيه أصول الدين وفروعها)[3]. والإعداد التهيئة للشيء[4].

ثم بينت الآية أن ذلك فضل من الله ورحمة (فبين أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله لا بعمله)[5].

{ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ } أي أن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله[6].

وهو خطاب مستمر المدى لكل الناس ولكل المسلمين بخاصة في كل ظرف ومكان.

والأصل فيه تقدم المغفرة على الجنة، (لأن دخول الجنة متسبب عن حصول المغفرة)[7] ويحسن هنا إيراد ما أورده الألوسي عن النيسابوري في اختلاف التعبير بين الآيتين، (وذكر النيسابوري في وجه التعبير هنا بـ(سابقوا ) وفي آية آل عمران بـ(سارعوا ) وبالسماء هنا ، والسماوات هناك وبـ(كعرض ) هنا وبـ(عرض) دون أداة تشبيه ثمّ كلاما مبنيا على أن المراد بالمتقين هناك السابقون المقربون ، وبالذين آمنوا هنا من هم دون أولئك حالا فتأمل ذلِكَ أي الذي وعد من المغفرة والجنة فَضْلُ اللَّهِ

---

(١) تفسير العثيمين ١٥/ ٣٨.
(٢) تفسير الخازن ٤/٢٥١.
(٣) تفسير السعدي ١/٨٤١.
(٤) انظر العثيمين ١٥/٣٩.
(٥) السراج المنير ٤/ ١٤٨.
(٦)انظر القرطبي ١٧/٢٥٧.
(٧) البحر المحيط ٢/١١٦ وانظر البحر المحيط ٨/ ١٦٩.

عطاؤه غير الواجب عليه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ إيتاءه وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فلا يبعد منه عز وجل التفضل بذلك على من يشاء وإن عظم قدره ، فالجملة تذييل لإثبات ما ذيل بها)[1].

وبعد استعراض الآيتين يتبين أن كل لفظة وقعت موقعها، فالآية الأولى جاءت لفظة (سارعوا) في سياق خاص معين لأناس بلغوا مرحلة تدل على حرصهم وعنايتهم للوصول قبل الآخرين؛ لأن المخاطب بها هم المتقون الذين بلغوا مرتبة عالية من الإيمان، فهم قد سابقوا في الخيرات وهم مستمرون في ذلك لذلك جاء الخطاب بالمسارعة.

وأما الآية الثانية فالمخاطب بها عموم المؤمنين لأنه جاءت في سياق التحذير من الدنيا وجعلها هي الغاية ونسيان الآخرة فجاءت لفظة (سابقوا) للترغيب في الباقي والتحذير من الفاني، فالآخرة هي الدار التي ينبغي أن تتجه إليها النفوس، وهم مشغولون بزهرة الحياة الدنيا؛ لذلك هم محتاجون إلى الحث والترغيب، فجاءت لفظة (سابقوا) فهم لم يصلوا إلى مرحلة المسارعة فهم مازالوا في بداية فطم النفس عن هواها وترغيبها للسباق إلى الجنة.

لذلك نلحظ تنوعا في الأسلوب وفروقا في التعبير يتناسب مع سياق كل آية حسب المتحدث عنهم. والآيات تتحدث عن السباق إلى الجنة وكل آية تناسب سياقها، وكل سباق له مراحل لابد من اجتيازها للوصول إلى الهدف ولذلك قال أبو حيان (وجاء لفظ سابقوا كأنهم في مضمار يجرون إلى غاية مسابقين إليهم)[2] فهم يسابقون في البداية ومن ثم يسارعون فيتحولون من مسابقين إلى مسارعين، ولا يصل إلى المسارعة إلا أصحاب الهمم العالية؛لأن السباق كما هو معلوم لا يصل فيه الجميع فقد يتعثرون قبل بلوغ الهدف.

وأما قوله ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ فقد جاءت في سياق نعيم الجنة الذي أعطاه الله سبحانه هؤلاء الأبرار { فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ } (يقال: نفست

---

(١) روح المعاني١٤/١٨٦.

(٢) البحر المحيط٨/١٦٩.

عليه الشيء أنفسه نفاسه: أي ضننت به، ولم أحب أن يصير إليه. وقيل : الفاء بمعنى إلى، أي وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل)[١].

كان ذلك بيانا للاتجاه الصحيح الذي ينبغي أن يتجه إليه الناس، ويتنافسوا في طلب المزيد منه، وهو العمل للدار الآخرة.

والتنافس: (مأخوذ من الشيء النفيس، وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس، وتطلبه وتشتهيه)[٢]. وهذا الشيء يحرص عليه الناس، ويجدوا في طلبه، والرغبة فيه، مع الحرص ألا يسبقهم إليه أحد.

وأصل التنافس (التغالب في الشيء النفيس المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به )[٣]، والأمر للتحضيض والترغيب[٤].

والمقصود بالمنافسة هنا التسابق إلى الخيرات ومجاهدة النفس لذلك قال الراغب في مفرداته (المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل، واللحوق بهم، من غير إدخال ضرر على غيره)[٥].

ومعنى الآية (وفي هذا الثواب والجزاء أي فليتسابق المتسابقون سباقاً يصل بهم إلى حد النفس، وهو كناية عن السرعة في المسابقة. .....، والمنافسة في الخير)[٦] وفي هذه الآية الكريمة ترغيب في المسابقة إلى طاعة الله عز وجل، والمبادرة، وذلك يكون باتباع الأوامر واجتناب النواهي، ولاشك أن المسابقة في أمور الآخرة مما يحرص عليه، ويرغب فيه، ويتزاحم عليه.وهذا أمر وترغيب بالنعيم الذي أعده الله لمن أطاعه، وهو الذي ينبغي أن (يتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرجال)[٧] وهكذا

---

(١) القرطبي ٢٦٦/١٩.

(٢) الطبري ٢٩٩/٢٤.

(٣) روح البيان ١٠ ٣٨٩.

(٤) انظر روح البيان ٣٨٩/١٠.

(٥) معجم المفردات ٥٠١.

(٦) العثيمين ١٢/٢١ بتصرف .

(٧) السعدي ٩١٦/١.

جاءت كل لفظة مناسبة لسياقها .فالمتقون في سباق مستمر للخيرات فخاطبهم بالمسارعة ،أما المؤمنون فيحتاجون للتحفيز والحث فخاطبهم بالمسابقة ، أما التنافس في عمل الآخرة فيجب أن يكون هو الذي يتزاحم عليه الجميع، ويرغبون فيه، فجاءت لفظة التنافس والله اعلم[1].

(١) التفسير الميسر ٦/١١٦.

# الخاتمة

الحمد لله الذي يسر إتمام هذا البحث الذي جعلني أعيش في رحاب القرآن متأملاً مظهراً بعض الأسرار البلاغية. لمادة (سبق) التي تنوعت بين الاسم والفعل. وبدأت بمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار، والمنهج المتبع الذي سرت عليه والمصادر التي أفدت منها.

وفي التمهيد بينت مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح وجهود العلماء في ذلك، وتعرضت للمفردة (سبق) ومعانيها وجذرها اللغوي.

أما المبحث الأول فقد خصصته بالحديث عن أثر السياق في اختيار الصيغة التي تنوعت بين الاسم والفعل وما ينتج عن ذلك من دلائل بلاغية في استعمال المفردة. مقدماً نماذج تطبيقية. مبرزاً أثر الصيغة ودلالتها مقدماً نماذج تطبيقية لصيغة الفعل.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن دلالة صيغة الاسم مقدماً نماذج تطبيقية مبيناً سر اختيار الصيغة.

وفي المبحث الثالث بينت أثر السياق في الموازنة بين متشابه النظم في مادة سبق.

أما المبحث الرابع فتحدثت فيه عن أثر السياق في اصطفاء لفظ (سبق) مع ما قاربه من ألفاظ، مثل (سارع) و(نافس).

**وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج عدة أبرزها :**

١. تبين أن معنى مادة (سبق) تعنى التقدم في السير إلا أنه تختلف دلالاتها بحسب السياق الذي وردت فيه.
٢. تشكلت مادة (سبق) بصيغ عدة وكل صيغة في كل سياق وردت فيه جاءت لتحقيق غرض معين.

٣. أن السياق أصل من أصول التفسير وله دور في بيان المعنى الذي وردت فيه اللفظة وأنها تختلف في سياقها عن معناها المعجمي.

٤. تنوع الصيغ التي وردت عليها مادة (سبق) بين الاسم والفعل، فهي مفردة غنية بالمعاني والدلالات بحسب الصيغة الواردة، فهي ثرية بدلالاتها ويختلف معناها من سياق إلى آخر، وهذه المزاوجة أنتجت أسراراً بلاغية.

٥. درست الصيغ التي وردت عليها مادة سبق وقد تنوعت بين الاسم والفعل وكل سياق له ما يناسبه من الألفاظ التي تمزج بين الاسم والفعل حسب السياق الذي وردت فيه والغرض الذي سيق من أجله.

٦. وردت لفظة (سبق) بلفظ الفعل في خمسة وعشرين موضعاً، وبلفظ الاسم في أحد عشر موضعا وهذا له دلالته.

٧. تبين لنا أن مادة سبق تتغير باختلاف المقام والغرض منها، فأحيانا ترد بلفظ الاسم، ومرة بلفظ الفعل وهذا التنوع له دلالته في تحقيق الغرض المقصود.

٨. ورود لفظ (سبق) بصيغة الاسم يدل على ثبوت الصفة وتحققها.

٩. تبين أن ورود لفظة (سبق) بصيغة المضارع يدل على تجدد الحدث واستمراره.

١٠. التعبير بلفظ الماضي جاء لتحقيق غرض معين وهو تحقق الوقوع لا محالة.

١١. من خلال البحث تبين أن التعبير بلفظ الماضي لمادة (سبق) يأتي أحيانا لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة المشركين الذين يقفون في صد الناس عن دين الله.

١٢. بين البحث أثر السياق بين متشابه النظم وأن لذلك أسراراً قد ندركها وقد لا ندركها.

١٣. أبان البحث أثر السياق في تغيير معنى لفظة (سبق) وتنوع دلالتها حسب السياق الواردة فيه.

١٤. كشف البحث أثر السياق في اصطفاء لفظ (سبق) مع ما قاربه من ألفاظ (سابقوا) (سارعوا) (فليتنافس المتنافسون) وتبين أن كل لفظ يناسب السياق الذي ورد فيه.

**ومن التوصيات**

أن ينبري دارسون للبحث في بلاغة القرآن الكريم فهي بلاغة لا تنتهي، على أن يتسلحوا بالأدوات التي تعينهم على ذلك، وألا يتصدى لهذه الدراسة إلا من ملك هذه الأدوات.

ولا غرابه فهذا القرآن معين لا ينضب وكل يأخذ منه بقدر جهده وإخلاصه.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.**

# المراجـــــع


١. القرآن الكريم
٢. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، المحقق: شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة.
٣. أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣، تحقيق: محمد عبدالحميد.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطاء ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة ، مطبعة السعادة .
٥. أساس البلاغة ، تأليف الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة والنشر بيروت – لبنان .
٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د.مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠ – ١٩٩١م.
٧. إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين الدرويش ، دار ابن كثير ، دمشق ط : ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٨. إعراب القرآن، قاسم حميدان دعاس، دار المنير، دمشق، ١٤٢٥.
٩. أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، أبي بكر جابر الجزائري، ط٢، ١٤٠٧هـ.
١٠. البحر المحيط في التفسير ، لمحمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
١١. بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد بن إبراهيم الزغلي، دار المعالي، ط١، عمان، الأردن.
١٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٣. بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو، د.نجاة الكوفي، ط دار النهضة العربية.
١٤. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، إعداد وتحقيق : خالد عبدالرحمن العك ، مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط : الثالثة ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
١٥. تفسير التحرير والتنوير ، للإمام محمد الطاهر بن عاشور .
١٦. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٨٣ هـ.
١٧. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد البغدادي، المعروف بالخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٨. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الناشر: أخبار اليوم، المكتبة الوقفية، ١٩٩١م.
١٩. تفسير العثمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٢٠. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، ط : الثانية ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٨٧م.
٢١. تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .
٢٢. التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي .
٢٣. التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٢٤. تفسير المراغي، أحمد مصطفي المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط : الأولى ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٢٥. التفسير المنير ، الأستاذ الدكتور وهبه الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، دار الفكر – دمشق – سورية ، ط : الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩١م.
٢٦. التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢٧. التفسير الواضح ، د . محمد محمود حجازي ، دار الجيل ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، ط : الرابعة ، ١٣٨٨ – ١٩٦٨م.
٢٨. التفسير الوسيط، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢.
٢٩. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
٣٠. تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، ط : السابعة : ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
٣١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تقديم محمد زهري النجار، جدة، دار المدني، ١٩٨٨م.
٣٢. جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط: الأولى ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٣٣. الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبي ) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، ط: الأولى ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
٣٤. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، تصنيف محمود صافي ، دار الرشيد ، دمشق ، بيروت ، مؤسسة الإيمان ، بيروت – لبنان .
٣٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف المعروف بالسمكين الحلبي ، تحقيق : علي محمد عوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ؤ ط : الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٣٦. درة التنزيل وثمرة التأويل، الخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق: د.محمد مصطفى، ط جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٧. دلالة السياق، ردة الله الطلحي، طباعة جامعة أم القرى ١٤٢٤هز
٣٨. دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة .
٣٩. الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان.
٤٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط : الرابعة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
٤١. زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، حققه محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله، خرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٤٢. زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٤٣. السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٤. السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، د.سعيد الشهراني، ط.جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٤٥. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط : الثانية ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
٤٦. فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه :د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، ط : الثانية ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٤٧. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، سليمان بن عمر العجلي الشافعي، الشهير بالجمل خطبه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ١٤١٦ – ١٩٩٦.
٤٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأليف ، أبو القاسم دار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
٤٩. اللباب في علوم الكتاب ، للإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحلبي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، منشورات محمد بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م .
٥٠. لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ، المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٥١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٤١٦ – ١٩٩٥.
٥٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار عالم لكتب للطباعة والنشر، الرياض، ١٤١٢.
٥٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٥٤. مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقاهر الرازي ، عني بترتيبه : محمود خاطر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان.
٥٥. المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧.
٥٦. المعجم الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، ط٧، ١٩٩٢.
٥٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبدالحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ – ٢٠٠٨.
٥٨. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية.
٥٩. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت .
٦٠. المفردات في غريب القرآن ، لأبي حاتم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت –لبنان ، ط : الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٦١. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توفية المتشابه من اللفظ في آي التنزيل، للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب.
٦٢. من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.
٦٣. من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، د.محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.

٦٤. الموافقات، إبراهيم بن موسى محمد الشهير بالشاطبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.
٦٥. النبأ العظيم، د.محمد عبدالله دراز، دار الرسالة، ط٢، ١٣٩٠ - ١٩٧٠م.
٦٦. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط١٥.
٦٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع – جدة ، ط : الثانية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٦٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشافية، ط١٤١٥هـ.
٦٩. الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية، سامي بن عبد العزيز العجلان، جامعة الإمام ١٤٣٠ - ٢٠٠٩.